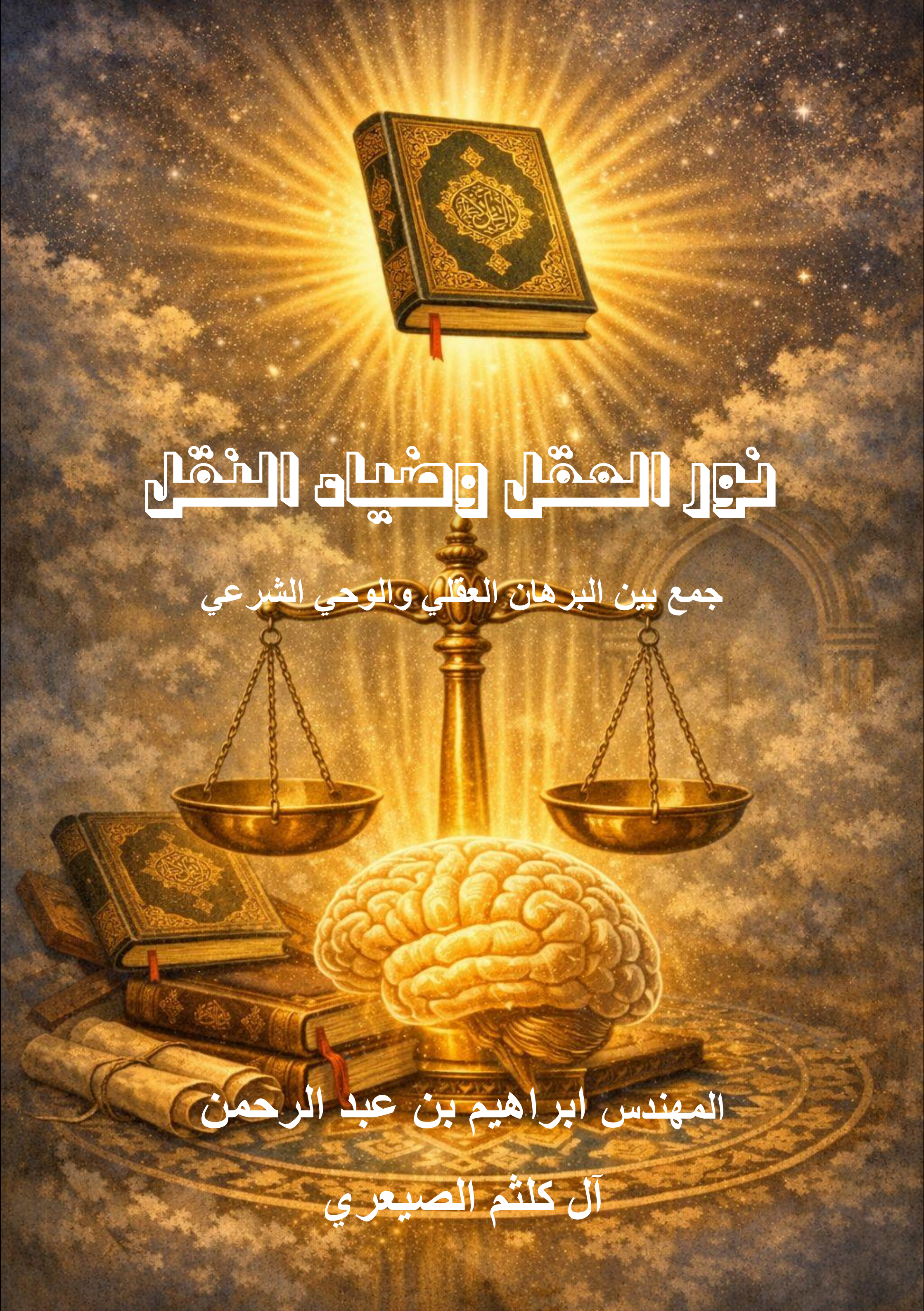


نور العقل وضياء النقل

جمع بين البرهان العقلي والوحي الشرعي

المهندس ابراهيم بن عبد الرحمن

آل كلثم الصيعري

نور العقل وضياء النقل

جمع بين البرهان العقلي والوحي الشرعي

المهندس ابراهيم بن عبد الرحمن

آل كلثم الصيعري

ⓗ ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم ال كلثم ، ١٤٤٧هـ

ال كلثم ، ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم
نور العقل وضياء النقل. / ال كلثم ، ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم .- الدمام ، ١٤٤٧هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٥٥٢٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٥٢٢١-١

يهدف هذا الكتاب إلى

إعادة الاعتبار لمنهج الوسطية المعرفية، عبر إثبات التوافق المطلق بين صريح العقل وصحيح النقل، وتحرير العقل المسلم من قيود التبعية المادية (العقلانوية) ومن أصفاد الجمود الحرفي (الظاهرية)؛ لتمكينه من استعادة دوره الريادي كعقل متعبد يستمد من الوحي غاياته، ومن المنطق أدواته، ليقدم نموذجاً حضارياً يجمع بين يقين الإيمان وفتوحات العلم.

المحتويات

إهــداء

أهدي كتاب "نور العقل وضياء النقل" هذا إلى كل باحث عن الحق، سائلاً المولى عز وجل أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا.

مقـدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدىً وذكرى لأولي الألباب، وجعل العقل ميزان الفكر وأداة التكليف، والصلاة والسلام على من بُعث متمماً لمكارم الأخلاق، وداعياً إلى تدبر الآيات بالمنطق السوي والنقل الصادق، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن المتأمل في أحوال الأمة اليوم يجد صراعاً مفتعلاً بين "نورين" لا ينفصلان: نور العقل الذي أودعه الله في الإنسان ليكون خليفة في أرضه، ونور الوحي الذي أنزله الله هدايةً للبشرية لئلا تضل في تيه الظنون. إن قضية "العقل والنقل" ليست ترفاً فكرياً أو جدلاً تاريخياً عفا عليه الزمن، بل هي معركة الوعي الكبرى في عصرنا الراهن، حيث تتجاذبه أمواج "العقلانوية" المادية التي تؤلّه الإدراك البشري وتنبذ الغيب، وبين مسالك أخرى قد تهمش دور العقل في فهم مقاصد الشريعة ونوازل العصر.

يأتي هذا الكتاب "نور العقل وضياء النقل "ليعيد تحرير العلاقة بين هذين المبدأين، منطلقاً من إيمان عميق بأن الخالق سبحانه هو "خالق العقل" وهو "منزل الوحي"، ولا يمكن لصنعه أن يناقض قوله. إن فلسفة الجمع التي يقدمها هذا العمل تقوم على أن العقل هو "العين"

والوحي هو "النور"؛ فلا العين تبصر في الظلام، ولا النور ينفع من فقد البصيرة.

لقد استدعت الحاجة المعاصرة وقفة جادة لمواجهة تشوهات الفكر، سواء من تيارات "التنوير الزائف" التي تلبس ثوب العقل لتمرير أجندات التفكيك، أو من الفئات التي تنكر حجية السنة تحت دعاوى "القرآنيين" واهمةً أن العقل يستغني عن البيان النبوي. ومن هنا، سعى هذا الكتاب لتفنيد هذه الشبهات بمنطق سليم واستدلال متين، معرجاً على نوازل العصر كعلاقة الإيمان بالعلم، والذكاء الاصطناعي، وأخلاقيات التكنولوجيا، ليرسم ملامح الشخصية المسلمة المتوازنة التي تفكر بعمق وتؤمن بصدق.

إننا لا نقدم العقل على النقل، ولا نهدر العقل باسم النقل، بل نجعل العقل خادماً للنص، فاهماً لمراميه، وشاهداً على صدقه، لينتج عن هذا التلازم بناء فكري لا تهزه رياح الشكوك، وضياء يستنير به السائرون في دروب الحق.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يفتح به بصائر الحائرين، ويثبت به قلوب المؤمنين.

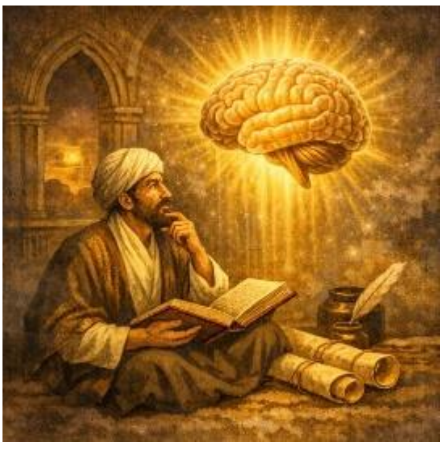
الباب الأول
حقيقة العقل ومكانته
في الإسلام

(نور العقل)

في هذا الباب، نُبحر في كنه الهبة الإلهية الكبرى؛ العقل الذي هو "أولُ ما استنار به كيان الإنسان". نؤصل، ونستكشف تجلياته في نصوص الوحي، ليس بصفته حاكماً مستقلاً على الغيب، بل بصفته "مفتاح القبول"، فهو ليس مجرد مادة صماء، بل هو "وظيفة إدراكية" مرتبطة بالقلب، وجعله الشارع مناطاً للتكليف ووسيلة لفهم مراد الله. هنا نضع ميزان الحجة، ونرسم حدود المدارك؛ ليكون العقل "بصيرةً" تبصر الحق، و"عقالاً" يقي من المهالك.

الفصل الأول
ماهية العقل وأقسامه
بين العقل الغريزي الفطري والعقل التجريبي المكتسب

العقل هو أعظم هبة إلهية للإنسان، به يدرك ويتفكر ويتخير. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (الإسراء: 70). وهذا التفضيل في جوهره هو "ميزان العقل" الذي جعله الله مناطاً للتكليف وجسراً يربط بين عالم الشهادة المحسوس وعالم الغيب المنقول. إن فهم ماهيته وتقسيماته يساعدنا في فهم كيفية تفاعله مع الوحي، وكيف أن الإسلام لم يهمل أي جانب من جوانب هذه القدرة الفائقة. التمييز بين العقل الفطري المجبول عليه الإنسان، والعقل المكتسب الذي يتشكل بالخبرة والتعلم، هو مفتاح لفهم طبيعة التكليف الشرعي ودور الوحي في توجيه هذه القدرات.



العقل في الإسلام ليس مجرد "عضو" أو "تفاعلات مادية"، بل هو **قوةٌ إدراكية** ونورٌ يقذفه الله في القلب والبصيرة. هو الأداة التي تعقل صاحبها عن الهلاك، وترشده إلى جادة الصواب.

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بخصيصة لم تكن لغيره من المخلوقات، وهي "العقل"، هذا النور الفطري الذي أودعه الله في النفس البشرية ليكون آلة للفهم، ومناطاً للتكليف، وجسراً يربط بين عالم الشهادة وعالم الغيب.

العقل الغريزي الفطري (العقل الفطرة)

هو ذلك الإدراك المباشر والبديهي الذي يولد مع الإنسان، وهو أساس معرفته بوجود خالق، وبقبح بعض الأفعال وحسن بعضها الآخر. إنه أشبه بـ "البوصلة الأخلاقية" الداخلية التي تدل على الحق والخير بشكل فطري. وقد أكد القرآن الكريم على هذه الفطرة في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم: 30).

- **خصائصه:**
  - **الوجود الأصيل:** ثابت في كل إنسان بغض النظر عن ثقافته أو بيئته.

- **البداهة:** لا يحتاج إلى استدلال معقد لإدراكه (مثل: "الواحد نصف الاثنين"، "الظلم قبيح").
- **الارتباط بالوحي:** هو أول ما يخاطبه الوحي، فهو قابل للتلقي والتوجيه.

- **دوره:** هو أساس الإيمان بالله، وأساس معرفة الحسن والقبح العقليين اللذين يتوافقان غالباً مع الشرع. إنه الأرضية التي يُبنى عليها الفهم الشرعي. وهذا ما يشير إليه الحديث النبوي الصحيح: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..." (متفق عليه) [البخاري: 1358 – مسلم: 2658]. فالفطرة هنا هي الاستعداد الأصيل للتوحيد والخير.

العقل التجريبي المكتسب (العقل التجربة والتعلم)

هو العقل الذي يتكون ويتطور بفعل الخبرات الحسية، والملاحظة، والتجريب، والتعلم، والتفاعل مع البيئة المحيطة. إنه العقل الذي يحلل البيانات، ويستنتج القوانين، ويبني النظريات العلمية. ويحث الإسلام على تنمية هذا الجانب من العقل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" (رواه مسلم) [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- حديث رقم

(2699)]. وهذا العلم غالباً ما يكون مكتسباً عبر الحواس والتفكر.

- **خصائصه:**
  - **التطور والنمو:** يزداد قوة واتساعاً مع مرور الزمن واكتساب الخبرات.
  - **الاعتماد على الحواس:** يستمد مادته من العالم الخارجي عبر الحواس.
  - **الاستدلال والتحليل:** يعتمد على المنهج العلمي في البحث والاستنتاج.
  - **القابلية للخطأ والتصويب:** قد يصل إلى نتائج خاطئة ثم يتم تصويبها بالبحث والتجريب.
- **دوره:** هو الأداة التي نفهم بها ظواهر الكون، ونستكشف بها قوانين الطبيعة، ونستنبط بها الأحكام الشرعية التفصيلية من نصوصها، ونطبق بها مقاصد الشريعة في حياتنا المعاصرة. قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران: 190-191). فهذه الآيات تدعو إلى التفكر في الخلق، وهو من صميم عمل العقل المكتسب.

العلاقة بين العقلين وتكاملها مع الوحي

- **التكامل لا التعارض:** الوحي لا يلغي أيّاً من هذين النوعين من العقل، بل يعمل على توجيههما وتكميلهما.
    - **العقل الفطري:** يؤكد الوحي على أصالة الفطرة وضرورة عدم الانحراف عنها، ويربطها بالإيمان بالله.
    - **العقل المكتسب:** يشجع الوحي على التفكر في ملكوت السماوات والأرض، ويدعو إلى العلم والتعلم، ويضع ضوابط لهذا العقل حتى لا يخرج عن مساره الصحيح. قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (الإسراء: 36). هذه الآية تضع مسؤولية على استخدام كل ما يملكه الإنسان من أدوات معرفية، ومنها العقل المكتسب.

- **موقف الإسلام:** الإسلام هو الدين الوحيد الذي رفع من شأن العقل بهذا الشكل، وجعله مناط التكليف، ودعا إلى استخدامه في فهم الكون وفي فهم الدين نفسه. لكنه في الوقت ذاته، وضع له حدوداً واضحة، وأرشده إلى مصدر الحقيقة المطلقة وهو الوحي الإلهي.

خلاصة الفصل: من الإدراك إلى الشهود

إن العقل في المنظور الإسلامي هو كيان مركب من **فطرةٍ** تبصر النور، و**تجربةٍ** تبني الواقع. إن فهمنا لهذا المزيج يجعلنا ندرك أن "العقل المسدد" هو الذي يبدأ بالإيمان فطرةً، ويترقى بالعلم تجربةً، ويستنير بالوحي يقيناً. ويجعلنا ندرك عمق النظرة الإسلامية التي لا تقصي جانباً على حساب الآخر. فالعقل الفطري هو أساس الإيمان، والعقل المكتسب هو أداتنا لفهم هذا الإيمان وتطبيقه في عالم متغير، وكلاهما يستنير بضياء الوحي ليحقق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها.

العقل

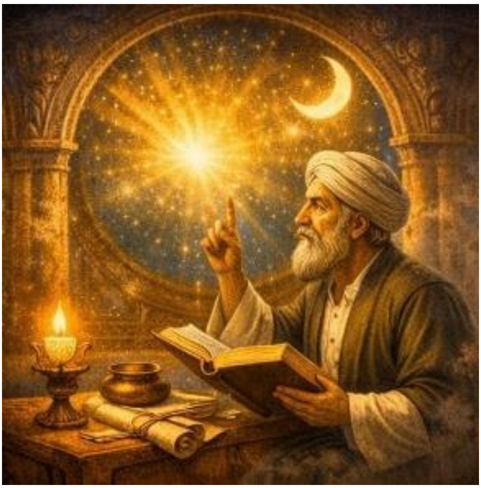
العقل هو قوة الإدراك ومناط التكليف، وينقسم إلى ثلاثة مستويات: غريزي (فطرة التفكير)، وتجريبي (حصيلة الخبرات)، ومُسدَّد (المسترشد بالوحي)؛ وهو الذي يربط بين المنطق والغاية الأخلاقية.

الفصل الثاني

العقل في البيان القرآني

استقصاء دلالات العقل كفعلٍ "حركي" وبرهانٍ قرآني

لم يحتفِ كتابٌ سماوي بالعقل كما احتفى به القرآن الكريم. إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد دعوات متكررة تارة بصيغة الاستفهام: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، وتارة بالتوجيه للنظر: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ)، وتارة بالثناء على (أُولِي الأَلْبَابِ).



لم يكن العقل في القرآن الكريم مجرد ترف فكري، بل هو وسيلة الإدراك الكبرى التي ربط الله بها قبول الإيمان وفهم الشريعة. إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد أن القرآن لم يخاطب الإنسان ككائن مستسلم مغيب الوعي، بل خاطبه كذات عاقلة مسؤولة، وجعل "التعقل" فريضة شرعية وضرورة وجودية .

إن الإسلام لا يريد من المسلم أن يكون تابعاً بغير بصيرة، بل يريده عاقلاً يتدبر في خلق السماوات والأرض، ويستنبط من النقل (الوحي) ما يحيي به نفسه ومجتمعه.

لقد ربط الإسلام بين "العقل" و"المسؤولية"، فلا تكليف لمن سُلب عقله. وهذا تكريم عظيم للعقل؛ إذ جعله الله شرطاً لمخاطبة الإنسان بالوحي. فالحق سبحانه لا يخاطب في شرعه إلا العقلاء، لأنهم هم القادرون على فقه مراده، وإدراك كمال شرعه. فالعقل مناط التكليف.

دلالة الفعل لا الاسم (لماذا "يعقلون" وليس "العقل"؟)

من اللطائف القرآنية أن كلمة "العقل" بمصدرها لم ترد في القرآن الكريم قط، وإنما وردت بصيغة الفعل (يعقلون، تعقلون، عقلوه).

- **الدلالة:** يشير هذا إلى أن العقل في المنظور القرآني ليس "عضواً" ساكناً، بل هو "**وظيفة** "وحركة مستمرة. العقل هو "عملية" ربط الحقائق بالنتائج، ومنع النفس من الهوى.
- **الشاهد:** قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (الحج: 46). هنا ربط القرآن بين القلب والتعقل كفعل حيوي ينتج عن السير والتأمل.

المصطلحات العقلية في القرآن

استخدم القرآن الكريم مصفوفة من المصطلحات التي تعبر عن طبقات الوعي البشري، ومنها:

1. **الألباب:** جمع "لُب"، وهو خلاصة الشيء وصفوته. ويخاطب القرآن أصحاب العقول الصافية من الشوائب بـ "أولي الألباب". قال تعالى: {هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (إبراهيم:52).
2. **النهى:** سمي العقل نُهية لأنه ينهى صاحبه عن القبيح. قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ} (طه: 54).
3. **الحِجر:** وهو العقل الذي يحجر (يمنع) الإنسان من الوقوع في الخطأ. قال تعالى: {هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ} (الفجر:5).

منهجية المحاججة العقلية في القرآن

قدم القرآن نماذج للمنطق السوي الذي يحترم عقل المخاطب، ومن ذلك:

- **القياس العقلي:** كاستدلال القرآن على إحياء الموتى بخلق السماوات والأرض أو بإحياء الأرض الهامدة. قال تعالى:

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} (يس: 81).

- **بطلان التناقض:** جعل القرآن الكريم "عدم التناقض" دليلاً عقلياً على المصدر الإلهي. قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء:82).

ذم تعطيل العقل

كما مدح القرآن التعقل، فقد ذم بشدة من يعطلون عقولهم ويتبعون التقليد الأعمى أو الهوى.

- **الشاهد:** قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} (البقرة: 170).
- كما وصف من لا يعمل عقله بأنه في مرتبة أدنى من الأنعام، قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} (الأنفال: 22).

خلاصة الفصل: العقل محراباً للتلقي

الخطاب القرآني ليس خطاباً ترهيبياً يلغي التفكير، بل هو خطاب استنهاضي يستفز القوى العقلية لدى الإنسان ليتدبر الآيات المنظورة (الكون) والآيات المستورة (الوحي). وبذلك يكون العقل في القرآن هو "المتلقي" الواعي والشرط الأساسي لفهم الرسالة الإلهية.

العقل في القرآن

العقل في القرآن ليس اسماً جامداً بل "فعلٌ وحركة" (تعقلون)، وهدفه التحرر من التقليد للترقي من النظر (الملاحظة) إلى التدبر (الفهم)، وصولاً إلى الألباب (جوهر العقل) الذي يربط الخَلْق بالخالق، ليصبح العقل أداة اليقين وبوابة الإيمان.

مبحث خاص

بناءً على آية "قلوب يعقلون بها"

علاقة القلب بالعقل في البيان القرآني

لطالما ساد في الفلسفات المادية فصلٌ حاد بين "العقل" كمركز للتفكير البارد، و"القلب" كمركز للعواطف المتقلبة. إلا أن القرآن الكريم قدم رؤية تكاملية فريدة، تجعل من القلب محلاً للتعقل، ومن العقل بصيرةً للقلب، مما ينفي الصراع المتوهم بين العاطفة والمنطق.



التدبر في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (الحج: 46).

- **الدلالة الروحية والعلمية:** تشير الآية الكريمة إلى أن "القلب" ليس مجرد مضخة للدم، بل هو جهاز إدراكي

عميق. التعقل هنا لا يقف عند حدود "المعلومة" الجافة، بل يتجاوزها إلى "الفهم" المؤثر الذي يحرك السلوك.

- **الفرق بين الإدراك والتعقل:** قد يدرك الدماغ الحقيقة الرياضية أو العلمية (إدراك ذهني)، لكن "التعقل بالقلب" هو الذي يجعل هذه الحقيقة تنعكس على خشية الله والعمل الصالح. قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق: 37).

آفات القلب كعائق للتعقل

يوضح القرآن أن العقل قد يتعطل ليس لنقص في الذكاء، بل لمرض في القلب. فالهوى، والكبر، والحقد، هي "أقفال" تمنع العقل من العمل الصحيح.

- **الشاهد:** قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد: 24). الأقفال هنا معنوية، وهي التي تحجب نور الوحي عن العقل.

- **العمى الحقيقي:** يؤكد القرآن أن فقدان البصر ليس هو العجز الحقيقي، بل العجز في "تعطل وظيفة القلب العاقلة". قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج: 46).

الطمأنينة العقلية والسكينة القلبية

العقل بطبعه يبحث عن "البرهان"، والقلب يبحث عن "الأمان". والقرآن يجمع بينهما في مفهوم الطمأنينة.

- **مثال إبراهيم عليه السلام :** عندما سأل ربه {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ}، لم يكن ذلك شكاً، بل طلباً لترقية المعرفة من "علم اليقين" العقلي إلى "عين اليقين" القلبي، فقال الله عز وجل له: {أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} (البقرة: 260). هنا نرى كيف يخدم الدليل العقلي (إحياء الطير) طمأنينة القلب.

العقل المسدد بنور القلب

العقل وحده قد يضل إذا تجرد من التقوى والخشية، والقلب وحده قد يزيغ إذا تجرد من العلم والضوابط.

- **التكامل:** العقل يحلل ويوضح، والقلب يصدق ويوجه. وهذا ما يسمى بـ "البصيرة"، وهي أعلى درجات التعقل التي يمتزج فيها نور الوحي بصفاء القلب ورجاحة العقل.

خلاصة المبحث

إن تعبير القرآن بـ "قلوب يعقلون بها" يرفع من شأن العقل ليجعله متصلاً بالقيم والمبادئ، ويسمو بالقلب ليخرجه من دائرة النوازع الشخصية إلى دائرة الوعي الرشيد. وبذلك، يكون المسلم شخصية متزنة؛ عقله يهديه إلى الحق، وقلبه يدفعه للثبات عليه

علاقة القلب بالعقل في البيان القرآني

القلب هو "موطن العقل" ومركز الإدراك في القرآن؛ فالعقل يمثل الوظيفة والتفكير، والقلب يمثل المحل والقرار، وبصلاحهما معاً تتحقق الهداية وتنكشف الحقائق.

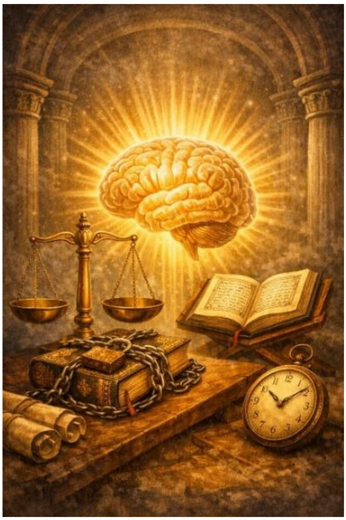
.

الفصل الثالث

العقل مناط التكليف والاعتبار

شرط الأهلية ومعيار المحاسبة

في المنظور الإسلامي، ليس العقل مجرد أداة للتفكر، بل هو "شرط الوجوب" و"أساس المسؤولية". فبقدر ما كرم الله العقل، جعل التكليف والجزاء (ثواباً وعقاباً) مرتبطاً بوجوده وصلاحه. في هذا الفصل، نناقش كيف جعلت الشريعة من العقل معياراً للمحاسبة، وكيف حمت هذا العقل من التغييب.



العقل شرط لأهلية التكليف

قرر الفقهاء والأصوليون قاعدة ذهبية: "لا تكليف إلا لعاقل". فالعقل هو الأداة التي يفهم بها العبد خطاب الله، وبدون الفهم يسقط التكليف.

- **الدليل من السنة:** قال رسول الله ﷺ: "رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتلمَ، وعن المجنونِ حتى يعقلَ" (رواه أبو داود والترمذي) [كتب السنن].

- **الدلالة:** "رفع القلم" يعني سقوط المحاسبة، لأن العقل الذي هو آلة التمييز غائب أو ناقص، والعدل الإلهي يقتضي ألا يُحاسب من لا يدرك ماهية فعله.

العقل وحفظ الضرورات الخمس

وضعت الشريعة الإسلامية "حفظ العقل" كأحد المقاصد الضرورية الخمسة التي قامت عليها الأديان والشرائع (الدين، النفس، العقل، النسل، المال).

- **الحماية من جانب الوجود:** بطلب العلم، والتفكر، والتدبر، وتنمية الملكات الذهنية.

- **الحماية من جانب العدم:** بتحريم كل ما يغيب العقل أو يفسده.

    - **تحريم المسكرات:** قال تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: 90).

- ◦ **التعليل** :سُميت الخمر خمراً لأنها "تخامر" العقل أي تغطيه وتستره، وفي ذلك إهدار لكرامة الإنسان التي منحه الله إياها.

العقل أداة "الاعتبار" والاجتهاد

لم يكتفِ الشرع بجعل العقل وعاءً للتلقي، بل جعله أداة للاستنباط والقياس (الاعتبار).

- **معنى الاعتبار:** هو العبور من المعلوم إلى المجهول، ومن النص إلى الواقع. قال تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} (الحشر: 2).
- **الاجتهاد:** ممارسة العقل للبحث عن حكم الله فيما لا نص فيه. فعندما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن سأله: "بمَ تقضي؟" قال: بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد؟" قال: بسنة رسول الله، قال: "فإن لم تجد؟" قال" :أجتهد رأيي ولا آلو"، فضرب النبي ﷺ على صدره وقال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله" (رواه أبو داود). الحديث مشهور في كتب الفقه والأصول، ويُستدل به على مشروعية الاجتهاد، لكنه ليس ثابتًا عن النبي ﷺ بإسناد صحيح، بل حكم عليه أهل الحديث بالضعف. ومع ذلك، فمعناه صحيح من حيث الدلالة، ولذلك قبله العلماء في باب الاستدلال الأصولي.

- **الدلالة :**إقرار النبي ﷺ لـ "اجتهاد الرأي" هو أكبر وثيقة لتكريم دور العقل في استنباط الأحكام.

حدود العقل في التكليف (ما لا يدركه العقل استقلالاً)

رغم مركزية العقل، إلا أن الشريعة وضحت أن العقل "مناط التكليف" وليس "منشئ التكليف".

- **العقل كاشف لا منشئ:** العقل يدرك حسن العدل وقبح الظلم، لكنه لا يستطيع استقلالاً تحديد تفاصيل العبادات (كعدد الركعات) أو تفاصيل الغيبيات.
- **التكامل:** العقل يدرك "ضرورة" الوحي، والوحي يملأ المساحات التي يعجز العقل عن إدراك تفاصيلها.

خلاصة الفصل: من التكريم إلى التمكين

إن جعل العقل "مناط التكليف" هو تكريم لمكانة الإنسان، واعتراف بكرامته. فالشريعة لم تأتِ لتلغي العقل، بل جاءت لتستثمره كأداة للفهم، وتحميه كجوهرة ثمينة، وتحاسب صاحبه بناءً على حضوره وغيابه. وبذلك يكون العقل هو الحجة التي تقوم بها الرسل على الخلق، وهو الأداة التي يسعد بها الإنسان في الدارين.

مبحث خاص

تناهي العقل أمام مطلق الوحي

رسم الحدود الفاصلة بين منطقة "الإدراك" ومنطقة "التسليم"

إن تعظيم الإسلام للعقل لا يعني تأليهه أو إطلاقه بلا قيد؛ بل إن من تمام "عقلانية العقل" أن يدرك حدود طاقته ومساحة تحليقه. فالعقل أداةٌ كالعين، لها مدىً تبصر فيه الحقائق بوضوح، ولكنها تعجز عن رؤية ما وراء الأفق إلا بمددٍ من ضياءٍ خارجي (النقل). ويرتكز هذا المبحث على المحاور الفلسفية والشرعية التالية:

أولاً: التفرقة بين "مُحالات العقل" و"مُحارات العقل"

العقل الصريح يرفض "المحالات" (كالتناقض العقلي)، لكنه يقف "حائراً" أمام "الغيبيات" (كالروح والبعث وتفاصيل الغيب). دور العقل هنا ليس النفي، بل الاعتراف بقصوره وانتظار الخبر الصادق من الوحي.

ثانياً: العقل "حاكمٌ" على الباب.. "خادمٌ" في المحراب

تنتهي حاكمية العقل عند إثبات صدق الرسول ﷺ وصحة النقل. فإذا ثبت لديه بالبرهان القطعي أن هذا "كلام الله"، انتقل العقل من رتبة

"الفاحص والمختبر" إلى رتبة "المتلقي والمستنبط"، ليصبح خادماً للنص في فهم مراميه وتنزيله على الواقع.

ثالثاً: الافتقار المعرفي للوحي

العقل يدرك "كليات" الأخلاق والتوحيد، لكنه يعجز عن إدراك "تفاصيل" التشريع والعبادات والجزاء. هنا يبرز دور النقل كـ "مُتمم" لا كـ "مناقض"، حيث يملأ النقل الفراغات المعرفية التي لا يستطيع العقل البشري، بظرفيته المحدودة زماناً ومكاناً، أن يملأها وحده.

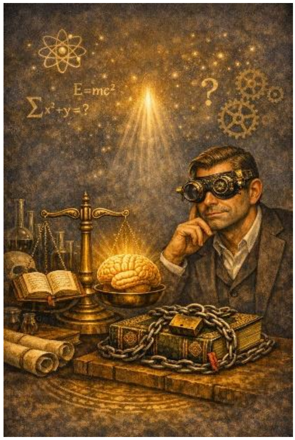
رابعاً: خاتمة المبحث (الجسر)

إن إدراك العقل لحدوده هو قمة النضج المعرفي؛ فمن عرف حدَّه وقف عنده، ومن وقف عند حدِّه استشرف بـ "ضياء النقل" ما لا يدركه بـ "نور العقل" وحده. وبذلك ننتقل من "حقيقة العقل" إلى "شرف النقل" في الباب التالي.

الفصل الرابع

دفع توهم التعارض بين العقل والنقل

صريح العقل لا يناقض صحيح النقل



من أشد الشبهات التي تُثار قديماً وحديثاً هي دعوى وجود "صراع" أو "تعارض" بين أحكام العقل وبين نصوص الوحي (النقل). والحقيقة تقرر أن هذا التعارض "متوهم" لا حقيقة له؛ إذ لا يمكن لنور الوحي (كلام الله) أن يناقض نور العقل (صنعة الله). في هذا الفصل، نؤصل للقواعد العلمية التي ترفع هذا التوهم وتكشف زيف دعوى التعارض.

استحالة التعارض الحقيقي

القاعدة الكلية هي أن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له.

- **وحدة المصدر:** العقل خلق الله، والوحي قول الله، ولا يتصور في العقل السليم أن يناقض قولُ الخالقِ صنعَه.
- **برهان النقل:** عدم الاختلاف (التعارض) صفة الوحي، والعقل السليم يدرك ذلك بالضرور، قال تعالى: {أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: 82).

شروط الاتفاق (صريح العقل وصحيح النقل)

تكامل الأدوار: العقل له "حدود" كما للحواس حدود؛ فالعين لا ترى ما وراء الجدران، والأذن لا تسمع ما وراء الجبال، وكذلك العقل لا يحيط بكُنْه الغيبيات أو تفاصيل التشريع التعبدية إلا بنور الوحي. التعارض الموهوم ينشأ حين يحاول العقل الخوض فيما ليس من اختصاصه، أو حين يُعتمد على نصوص غير ثابتة (نقل غير صحيح). ولتحقيق التوافق، وضع العلماء ضابطين دقيقين:

1. **صحيح النقل:** أن يكون النص ثابتاً عن الله عز وجل ورسوله ﷺ سنداً ومتناً. فالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة قد تخالف العقل، والعلة هنا في "عدم ثبوت النقل" لا في قصور العقل.
2. **صريح العقل:** أن تكون النتيجة العقلية قطعية وواضحة (مثل: الكل أكبر من الجزء)، وليست مجرد "ظنون" أو "نظريات قيد البحث" يظنها البعض عقلاً وهي مجرد أوهام.

- **القاعدة:** إذا وجدنا تعارضاً، فإما أن النقل غير صحيح، أو أن العقل غير صريح (وهمي)، أو أن الفهم للنص كان خاطئاً.

الفرق بين "محالات العقول" و"محارات العقول"

يقول الإمام ابن تيمية في قاعدته الشهيرة: "الأدلة العقلية الصحيحة لا تخالف النصوص الشرعية الصريحة أبداً". فإذا بدا تعارضٌ في الظاهر، فإما أن العقل "فاسد التصور"، أو أن النقل "غير صحيح الثبوت"، أو أن الفهم للنص "خاطئ". فهذا تقسيم دقيق وضعه علماء الإسلام (كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره) لفض النزاع:

- **محالات العقول:** هي الأمور التي يحكم العقل باستحالة وجودها (كاجتماع النقيضين) **.والشرع لا يأتي أبداً بمحالات العقول.**
- **محارات العقول:** هي الأمور التي يعجز العقل عن إدراك كنهها أو تفاصيلها (كيفية الصفات الإلهية، أحوال الغيب) . **والشرع يأتي بمحارات العقول** ليبتلي إيمان العبد، لكنه لا يأتي بما يرفضه العقل الصريح.
- **الشاهد:** العقل يدرك "إمكان" وجود الغيب، لكنه "يحتار" في تصوره، وهذا لا يسمى تعارضاً بل هو قصور بشري طبيعي.

العقل شاهد للنقل وعامل في فهمه

العقل ليس خصماً للنقل، بل هو "الشاهد" الذي قامت به الحجة.

1. **قبل النقل:** العقل هو الذي يثبت صدق الرسول ﷺ بالمعجزة.
2. **أثناء النقل:** العقل هو الذي يفهم لغة النص ودلالاته.
3. **بعد النقل:** العقل هو الذي يستنبط الأحكام ويطبقها على الواقع (الاجتهاد).

- **التشبيه البليغ:** العقل كـ "البصر"، والنقل كـ "الضوء". البصر بلا ضوء لا يرى شيئاً، والضوء بلا بصر لا يستفيد منه الرائي.

خلاصة الفصل: محراب السجود المعرفي

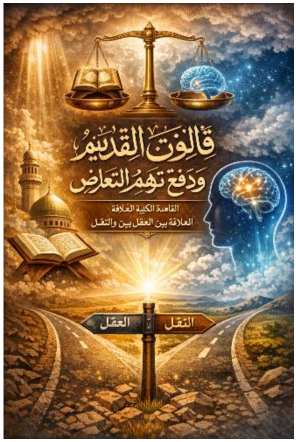
إن العقل في الإسلام هو "مصباح" يبصر به الإنسان الحقائق، لكنه لا يستغني أبداً عن "زيت" الوحي ونوره ليظل متقداً. فالعقل بلا وحي قد يضل في تيه الظنون، والوحي بلا عقل لا يُفهم ولا يُطبق.

إن دعوى التعارض بين العقل والنقل تنشأ إما من جهل بالنقل أو من زلل في العقل. فمتى ما سلم النقل من الدخل (الوضع والضعف)، وسلم العقل من الهوى والظن، وقع الاتفاق التام. وبذلك يغلق هذا الكتاب باب "الفصام النكد" بين العلم والإيمان، ليعلن أن "نور العقل" يسجد في محراب "ضياء النقل."

الفصل الخامس

قانون التقديم ودفع توهم التعارض

القاعدة الكلية في العلاقة بين العقل والنقل



بعد أن أصلنا لماهية العقل (النور) وحجية الوحي (الضياء)، وبعد أن أثبتنا استحالة التناقض بينهما في الفصل السابق، نصل هنا إلى "الميزان العملي" الذي وضعه علماء الأمة لضبط العلاقة عند حدوث "توهم" التعارض. إن هذا الفصل ليس مجرد استعراض لقواعد قديمة، بل هو **"بروتوكول تشغيلي"** للعقل المسلم المعاصر في مواجهة الأطروحات التي تحاول ضرب الثوابت باسم العقلانية.

تحرير مصطلح "التقديم" (أين يتقدم العقل؟)

يسود فهم مغلوط بأن تقديم النقل على العقل هو "إلغاء للتفكير"، والحقيقة أن التقديم هنا هو تقديم **"المصدر"** على **"الأداة"** عند بلوغ الغاية.

1. **العقل مقدمٌ في "الإثبات":** العقل هو الذي أثبت وجود الخالق، وهو الذي شهد بصدق الرسول ﷺ، فهو "أصل" في معرفة ثبوت الوحي.
2. **النقل مقدمٌ في "الإخبار":** بمجرد أن يثبت العقلُ صدقَ المصدر (الوحي)، يصبح من تمام عقلانية العقل أن يتلقى عن هذا المصدر ما يعجز عن إدراكه استقلالاً (الغيبيات، تفاصيل التشريع).

- **القاعدة:** العقل يقودك إلى باب الوحي، فإذا دخلت، صار الوحي هو القائد والعقل هو التابع المسدد.

قانون "دفع التعارض" (قاعدة ابن تيمية الذهبية)

لخص علماء الإسلام القاعدة الكلية في التعامل مع أي تعارض "ظاهري" في نقاط حاسمة، نعتمدها كمنهج في هذا الكتاب:

- **تقديم القطعي:** إذا تعارض دليل عقلي **قطعي** (يقيني) مع دليل نقلي **ظني** (حديث آحاد محتمل المعنى)، قُدم القطعي ويُؤول الظني بما يوافق العقل.
- **تقديم النقل الصحيح عند التساوي:** إذا كان النقل صحيحاً صريحاً والعقل مجرد "نظرية" أو "احتمال"، فالنقل هو المقدم؛ لأن العلم الإلهي محيط، والعلم البشري قاصر.

- **استحالة تعارض القطعيين:** لا يمكن لقطعي عقلي أن يعارض قطعياً نقلياً أبداً، ومن ادعى ذلك فقد وهم في أحدهما.

آفات "العقلانية المشوهة" (لماذا يتوهمون التعارض؟)

في هذا المطلب نكشف الأسباب النفسية والمعرفية التي تجعل البعض يرى تعارضاً حيث لا تعارض:

1. **الهوى المغلف بالمنطق:** حين يرغب الإنسان في التفلت من تكليف شرعي، يلبس رغبته رداء "العقلانية".
2. **الجهل بلغة العرب:** بما أن اللغة هي "وعاء النقل"، فإن الجهل بدلالاتها يوقع العقل في أخطاء فادحة عند فهم النص.
3. **تقديس "اللحظة الراهنة":** ظن البعض أن ما وصل إليه العلم التجريبي اليوم هو "الحقيقة المطلقة" التي يجب أن يُقاس عليها الوحي، غافلين عن أن العلم التجريبي بطبعه "تراكمي وتصحيحي".

النتيجة المنهجية (العقل خادمٌ للنص ومستنيرٌ به)

إن قانون التقديم الحقيقي هو أن يتقدم "اليقين" على "الشك". وحيث إن الوحي هو اليقين المطلق، والعقل البشري يعتريه النقص والنسيان والتحيز، فإن تقديم النقل عند الحيرة هو **"قمة التعقل"**.

- **التشبيه الاستراتيجي:** العقل كـ "القاضي" الذي يستمع لشهادة "الشاهد العدل" (الوحي)؛ فالعقل هو الذي حكَم بعدالة الشاهد، لكنه لا يملك أن يكذب ما يخبر به الشاهد الصادق في أمور لم يحضرها القاضي بنفسه.

خلاصة الباب الأول: نحو عقلٍ "شهودي" مسدد

بهذا الفصل، يكتمل بناء **"نور العقل"**. لقد انتقلنا من تعريفه، إلى دلالاته في الوحي، إلى كونه مناطاً للتكليف، ثم رسمنا حدود مداركه، وختمنا بقانون التوافق.

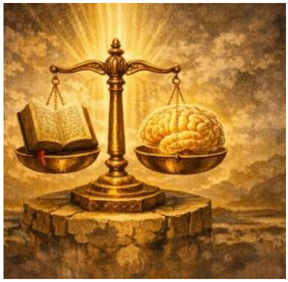
بهذه الأرضية الصلبة، نحن الآن مستعدون للانتقال من "الأداة" إلى "المصدر"، لندخل في **الباب الثاني: الوحي وحجية النص (ضياء النقل)**، لنرى كيف ينير هذا الضياء دروب العقل التائه.

الباب الثاني
الوحي وحجية النص

(ضياء النقل)

إذا كان العقل هو "العين"، فإن الوحي هو "الضياء" الذي بدونه يرتطم البصر بجدران الحيرة. ننتقل هنا من عالم "النظر" إلى عالم "الخبر الصادق"، لنستلهم من مشكاة النبوة عصمة المنهج وثبات القيم. في هذا الباب، نعرض شرف النقل وكيف جاء متمماً لقصور المدارك البشرية، ليحول "إدراك العقل" إلى "يقين القلب"، ويمنح الروح بوصلةً لا تضل في متاهات الوجود. هنا يؤصل لضرورة الوحي (الكتاب والسنة) كمرجعية معصومة، ويبين بالبرهان العقلي عجز العقل عن الاستقلال وحده في إدراك الغيبيات وتشريع القيم المطلقة، مفنداً دعاوى الاكتفاء بالقرآن دون السنة.

الفصل الأول
حقيقة الوحي وخصائصه
العصمة، الثبات، والشمول



إذا كان العقل البشري يتسم بالقصور، والنسيان، والتأثر بالهوى، فإن النقل (الوحي) يتميز بخصائص تجعله "الميزان العدل" الذي لا يميل. إن ثقة العقل في النقل تنبع من إدراكه لصفات هذا المصدر الإلهي، وهي العصمة من الخطأ، والثبات أمام المتغيرات، والشمول لكل مناحي الحياة.

العصمة (السلامة من التناقض والخطأ)



العصمة هي الصفة التي تمنح النقل قدسيته ومصداقيته المطلقة. فبينما يخطئ العقل البشري ويصيب، يظل الوحي منزهاً عن الخلل.

- **عصمة المصدر:** الله سبحانه هو الحق، وكلامه حق. قال تعالى: {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت: 42).

- **عصمة المُبلِّغ:** رسول الله ﷺ معصوم فيما يبلغه عن ربه. قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: 3-4).
- **أثر العصمة على العقل:** عندما يدرك العقل أن النص معصوم، يتوقف عن "نقد النص" وينتقل إلى "فهم النص"، لأن نقد المعصوم تناقض عقلي.

الثبات (الأصالة في مواجهة المتغيرات)

يتميز النقل بثبات أصوله وقواعده الكلية، مما يوفر للعقل "مرجعية صلبة" في عالم دائم التغير.

- **الثبات في العقائد والقيم:** الحقائق الكبرى (التوحيد، العدل، الصدق) لا تتغير بتغير الزمان. قال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} (الأنعام: 115).
- **المرونة في التطبيق:** ثبات النص لا يعني جموده، بل يعني أن قواعده ثابتة وتطبيقاته مرنة تستوعب الزمان، وهذا من إعجاز النقل الذي يبهر العقل.

الشمول (استيعاب حاجات الفرد والمجتمع)

النقل ليس محصوراً في المسجد أو العبادات المحضة، بل هو منهج حياة شامل.

- **شمولية المنهج:** يغطي الوحي جوانب العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق، والسياسة الشرعية. قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل: 89).
- **التكامل مع العقل:** الشمول في النقل يضع الخطوط العريضة، ويترك للعقل مساحة الإبداع والاجتهاد في التفاصيل الدنيوية، مما يحقق التوازن بين "هداية السماء" و"عمارة الأرض."

الحفظ الإلهي (الضمانة العقلية للاستمرارية)

من خصائص النقل التي تخضع للبرهان العقلي هي "ديمومته" رغم محاولات التحريف والتبديل عبر القرون.

- **تعهد الحق بالحفظ:** قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: 9).
- **شهادة العقل:** إن بقاء القرآن غضاً طرياً كما أُنزل، وبقاء السنة مدونة ومنقحة بعلم "الجرح والتعديل" (وهو علم عقلي بامتياز)، دليل على أن هذا النقل ليس من صنع البشر، بل هو تدبير إلهي.

خلاصة الفصل

إن خصائص العصمة والثبات والشمول تجعل من النقل "منارة" يستضيء بها العقل في دياجير الحيرة. فالعقل يجد في النقل الأمان من الخطأ (العصمة)، والاستقرار في المبادئ (الثبات)، والجواب على كل تساؤلات الحياة (الشمول). وبذلك، يسلم العقل للنقل لا عن ضعف، بل عن وعي تام بمميزات هذا المصدر الإلهي الفائق.

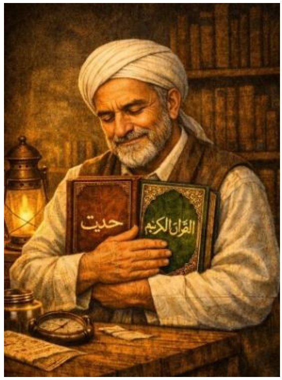
خصائص النقل (الوحي)

خصائص النقل هي العصمة (لا يأتيه الباطل)، والحاكمية (مرجعية عليا)، والشمول (يغطي الروح والمادة)، والثبات (قيم خالدة لا تتبدل بمرور الزمن).

الفصل الثاني

مفهوم النقل وتلازم الكتاب والسنة

الذي نقل القرآن هو نفسه الذي نقل السنة الصحيحة



النقل في الاصطلاح الشرعي ليس مجرد حكايات تاريخية، بل هو "الوحي المعصوم" الذي نُقل إلينا بالأسانيد الصحيحة، ويشمل الكتاب والسنة معاً. وفي العصر الحديث، ظهرت فئة تنادي بالاكتفاء بالقرآن وجحد السنة (القرآنيون)، مدعين أن ذلك هو مقتضى "العقل". والحقيقة أن منهجهم هذا هو "انتحار عقلي" قبل أن يكون مخالفة شرعية، إذ لا يستقيم فهم القرآن ولا إقامة شعائره إلا ببيان السنة.

حقيقة النقل ووحدة المصدر

النقل هو ما صح عن الله تعالى في كتابه، أو عن رسوله ﷺ في سنته. والقرآن والسنة يشتركان في كونهما وحياً من حيث الأصل، وإن اختلفا في اللفظ والتعبد.

- **الدليل من القرآن:** قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: 3-4).

- **الدليل من السنة:** قال رسول الله ﷺ: "ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه" (رواه أبو داود) [ورد في عدد من كتب أئمة الحديث]. والمثلية هنا في الحجية ووجوب الاتباع.

التلازم العضوي بين الكتاب والسنة

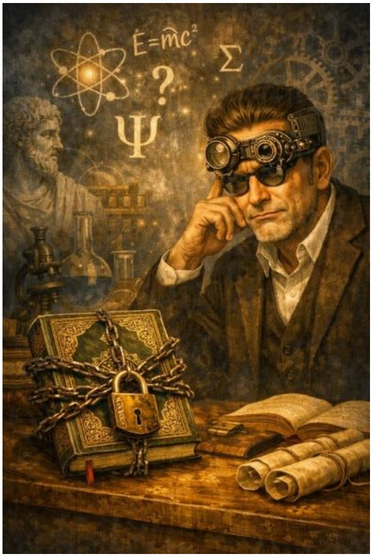
العقل السليم يدرك أن "المُرسِل" (الله) قد اصطفى "رسولاً" لبيان مراده، فكيف يُقبل البيان ويُرفض المُبين؟

1. **السنة شارحة ومفصلة:** القرآن جاء بقواعد عامة (مثل: أقيموا الصلاة)، والعقل لا يمكنه استنباط صفة الصلاة أو عدد ركعاتها إلا ببيان السنة. فجحد السنة هو تعطيل لعمل القرآن نفسه.
2. **السنة مخصصة ومقيدة:** السنة تضع الضوابط العملية للنصوص القرآنية، وبدونها يصبح النص القرآني عرضة للتأويلات الهوائية الفوضوية.

تفكيك التناقض العقلي عند "القرآنيين"

هنا نحاكم دعوى "القرآنيين" إلى العقل الذي يدّعون التمسك به:

- **التناقض الأول (حجية النقل):** القرآنيون قبلوا القرآن لأنه نُقل إلينا عبر "الرواية والتواتر"، والمنهج العلمي الذي نقل القرآن هو نفسه الذي نقل السنة الصحيحة. فكيف يقبل العقل "الواسطة" في الكتاب ويرفضها في السنة؟ هذا تفريق بين المتماثلات، والتفريق بين المتماثلات (قبول أحدهما ورد الآخر) هو عجز عقلي وتناقض منهجي يضرب موثوقية النقل التاريخي ككل.



- **التناقض الثاني (طاعة الرسول ﷺ):** القرآن الذي يؤمنون به يأمر بطاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً، كقوله تعالى: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: 80). فإذا ألغوا السنة، فقد ألغوا العمل بعشرات الآيات القرآنية، وهذا تهافت منطقي.

- **التناقض الثالث (انقطاع البيان):** العقل يرفض أن يترك الخالق خلقه بلا بيان لمراده، فإذا رُفضت السنة، بقي القرآن مجملاً في أعظم أركانه (الصلاة، الزكاة، الحج)، وهذا يتنافى مع حكمة التشريع.

السنة كصمام أمان للعقل الفقهي

السنة ليست قيداً على العقل، بل هي "خارطة طريق" تحميه من التيه. فالعقل البشري المحدود بالزمان والمكان لا يمكنه الإحاطة بكل المصالح، فجاءت السنة لتقدم النموذج التطبيقي الكامل للوحي، مما يوفر على العقل عناء التجربة والخطأ في أمور الدين.

خلاصة الفصل

إن التلازم بين الكتاب والسنة هو تلازم "الروح والجسد"، لا يغني أحدهما عن الآخر. والعقل الرشيد هو الذي يدرك أن تعظيم النقل (الكتاب والسنة) هو قمة التعقل، لأن الوحي هو الحقيقة المطلقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. أما دعاوى "القرآنيين" فما هي إلا عقلانية عرجاء، تهدم الأصل لتدعي حفظ الفرع

.

الفصل الثالث

مقاصد الشريعة

استظهار الغايات الكبرى التي جاء النقل لتحقيقها وحمايتها

ليست الشريعة مجرد قوالب جامدة أو نصوص حرفية، بل هي "حكمة" بالغة تهدف لتحقيق مصالح العباد. هنا ننتقل بالعقل من الوقوف عند "حرفية اللفظ" إلى إدراك "روح النص" وغاياته الكبرى، لنرى كيف يفيض النقلُ عدلاً ورحمة.



العقل كاشف للمصالح والعلل

أرقى مراتب التعقل هي البحث عن الحكمة والعلة من وراء الحكم الشرعي.

- **الاستدلال الشرعي :**قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} (ص: 29).
- **البرهان العقلي :**العقل يدرك أن الله لا يشرع عبثاً، فيبحث في النص عن العلة (كتحريم الخمر لإفسادها العقل) ليعمم الحكم عبر "القياس" على كل ما شابهها في العلة.

الضرورات الخمس وحماية الوجود

جاء النقل ليحمي كليات الوجود الإنساني التي لا تستقيم الحياة بدونها.

- **البرهان العقلي:** المقاصد الخمسة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال) هي جوهر المصلحة البشرية. العقل السليم يرى أن أي تشريع يصون هذه الضرورات هو تشريع عقلاني بامتياز.

العقل أداة التجديد ومواكبة النوازل

النصوص متناهية والحوادث غير متناهية، وهنا يبرز دور العقل المقاصدي "المسدد".

- **الاستدلال الشرعي:** حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين سأله النبي ﷺ: «بمَ تقضي؟» قال: «أجتهدُ رأيي ولا آلو».
- **البرهان العقلي:** العقل المقاصدي يملأ الفجوة بين النص الثابت والواقع المتغير، فيستنبط الحلول للنوازل (كالقضايا الطبية والتقنية المعاصرة) بما يحقق نفعاً ولا يصادم قطعياً.

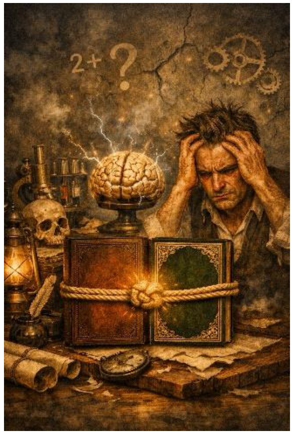
ملخص الفصل

إعمال العقل في مقاصد الشريعة هو غوص في أعماق الوحي لا خروجاً عليه. العقل المصلحي المنضبط بالوحي هو الذي يحمي الدين من "جمود الظاهرية" ومن "تميع العقلانوية الزائفة"، ليقدم شريعة حية مرنة.

الفصل الرابع

افتقار العقل إلى هداية الوحي

لماذا لا يستقل العقل وحده؟



على الرغم من المكانة السامية التي منحها الإسلام للعقل، إلا أنه يظل أداة بشرية لها "حدود إدراكية" كما للبصر حدود وللسماع حدود. إن القول باستغناء العقل عن الوحي هو كمن يزعم استغناء العين عن الضوء؛ فالعين سليمة لكنها في الظلام لا ترى. في هذا الفصل، نبرهن عقلياً ونقلياً على ضرورة افتقار العقل إلى نور النبوة.

قصور العقل عن إدراك الغيبيات

العقل البشري مُصمم لدرك "المحسوسات" وربط الأسباب بالمسببات في عالم الشهادة. أما عالم الغيب (ذات الله، الروح، البرزخ، الجنة والنار)، فهي خارج نطاق المختبر العقلي.

- **البرهان العقلي:** العقل يدرك ببديهته أن لهذا الكون خالقاً (أثر يدل على مؤثر)، لكنه لا يستطيع استنتاج "أسماء هذا

الخالق" أو "صفاته" أو "ماذا يحب وماذا يكره" بمجرد التفكير المجرد.

- **الشاهد القرآني:** قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الإسراء: 85). هنا رسم الوحي حداً للعقل لكيلا يهيم في أودية الحيرة.

نسبية العقل وتغير المصالح

العقل البشري يتأثر بالزمان، والمكان، والبيئة، والهوى الشخصي. فما يراه عقلُ إنسانٍ "مصلحةً"، قد يراه عقلُ آخر "مفسدة."

- **الحاجة إلى معيار ثابت:** لو تُرِك التشريع للعقول وحدها، لضاعت الحقوق تحت وطأة "الأغلبية" أو "القوة" أو "الهوى". فجاء الوحي ليقدم "الميزان الثابت" الذي لا يتغير بتغير الأمزجة.
- **الشاهد القرآني:** قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} (المؤمنون: 71). فالعقل بدون وحي قد يشرعن الظلم باسم المصلحة (كما نرى في القوانين الوضعية المتناقضة).

الوحي "مُكمل" لقصور التفكير و"مصحح" للانحراف

العقل قد يزل، وقد تغلبه الشهوة، وقد يخطئ في الحساب. هنا يأتي الوحي ليقوم بدورين:

1. **التسديد:** منع العقل من الانزلاق في الأوهام والخرافات.
2. **التعريف بالغاية:** العقل يسأل "كيف؟" (كيف نعيش، كيف نصنع)، والوحي يجيب على "لماذا؟" (لماذا خُلقنا، وإلى أين المصير). وبدون الإجابة على "الماذا"، يعيش العقل في قلق وجودي وتيه عبثي.

- **الشاهد من السنة:** قال رسول الله ﷺ: "تركتُ فيكم شيئينِ لن تضلوا بعدهما: كتابَ اللهِ وسنتي" (رواه أبو هريرة) [صحيح الجامع: 2937]. الضلال هنا هو ضلال العقل قبل ضلال العمل.

كمال العقل في الاستسلام للوحي

يعتقد البعض أن "التبعية للوحي" هي إلغاء للعقل، والحقيقة هي "قمة العقلانية."

- **مثال المريض والطبيب:** العقل هو الذي قاد المريض للطبيب الماهر (بالأدلة)، فإذا وصل إليه، كان من "مقتضى العقل" أن يستسلم لتعليمات الطبيب وإن لم يفهم سر تركيب الدواء.

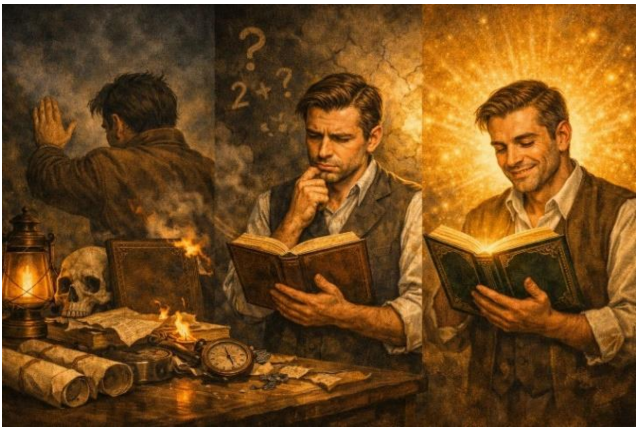
- **التطبيق:** العقل هو الذي دلنا على صدق رسول الله ﷺ (بالمعجزات والمنطق)، فإذا ثبت صدقه، صار من "قصور العقل" الاعتراض على خبره، ومن "كمال العقل" التسليم له. قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (الأحزاب: 36).

خلاصة الفصل

العقل جوهرة ثمينة، لكنها تحتاج إلى "صياد" ماهر يوجهها. افتقار العقل إلى الوحي ليس نقصاً في العقل، بل هو اعتراف بطبيعته البشرية المحدودة. إن العقل الذي يتكبر على هداية الوحي ينتهي به المطاف إما إلى "تأليه الذات" أو "العدمية"، بينما العقل الذي يستضيء بنور النبوة يجمع بين عمارة الأرض وسلامة المصير.

الفصل الخامس
أحوال العقل في مرآة النقل
آفات الفهم وضوابط الاستنباط

إذا كان العقل هو أداة فهم النقل، فإن هذا الفهم قد تعتريه عوارض وآفات تحرفه عن مراد الله عز وجل ورسوله ﷺ. لذا، وضع الوحي "مرآة" يرى فيها العقل أحواله، وكشف عن المعوقات النفسية والفكرية التي تحجب الرؤية الصحيحة، ليضع بدلاً منها "ضوابط استنباط" تضمن سلامة النتائج.



آفات الفهم في ضوء الوحي (لماذا يخطئ العقل؟)

بين القرآن والسنة أن انحراف العقل عن فهم النص لا يعود غالباً لنقص في ذكاء الإنسان، بل لآفات قلبية ونفسية:

1. **اتباع الهوى:** وهو أخطر الآفات، حيث يطوع العقلُ النصَّ ليوافق رغباته. قال تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} (القصص: 50).
2. **الكِبْر والتعالي:** وهو حجاب يمنع العقل من قبول الحق وإن بدا جلياً. قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأعراف: 146).
3. **الظن والخرص:** الاعتماد على الاحتمالات المرجوحة وترك القطعيات. قال تعالى: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (الأنعام: 116).

ضوابط الاستنباط (كيف يفكر العقل في النص؟)

لكي يكون العقل "شارحاً" لا "مشككاً"، عليه الالتزام بقواعد الاستنباط التي أقرها الوحي:

1. **فهم النص في سياقه ولغته:** القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلا يجوز للعقل أن يخرج باللفظ عن دلالاته اللغوية المعهودة. قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف: 2).

2. **رد المتشابه إلى المحكم :**القاعدة الذهبية في الفهم هي جعل الواضحات (المحكمات) أصلاً يُفهم في ضوئه ما قد يشتبه على العقل. قال تعالى: {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (آل عمران: 7).

3. **الجمع بين النصوص:** العقل الرشيد لا يضرب الأمثال بضرب النصوص بعضها ببعض، بل يجمع بين العام والخاص، والمطلق والمقيد، ليرسم صورة متكاملة للمراد الشرعي.

التواضع العلمي أمام النص (حدود "لا أدري")

من كمال العقل في مرآة النقل أن يدرك حدوده، وأن يعترف بما لا يعلم.

- **أدب السؤال:** سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الساعة، فقال: "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائلِ" (رواه مسلم: 8). هذا النموذج النبوي يعلم العقل أن "عدم العلم بالشيء ليس علماً بعدمه"، وأن التوقف عند حدود النص هو قمة الأمانة العقلية.

ثمرة الفهم المسدد (الحكمة)

عندما ينضبط العقل بضوابط النقل ويتطهر من آفاته، يرزقه الله "الحكمة"، وهي وضع الشيء في موضعه الصحيح.

- **الشاهد:** قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: 269). هنا نرى الربط بين الحكمة وبين "أولي الألباب" (العقول الصافية من الآفات).

خلاصة الفصل

العقل في مرآة النقل هو عقل "مُبصر" يرى عيوبه فيصلحها، ويدرك حدوده فيحترمها. إن الالتزام بضوابط الاستنباط والتطهر من آفات الهوى والظن يحول العقل من "تاهٍ في أودية الظنون" إلى "مهتدٍ بنور اليقين". وبذلك يكون النقل هو "الميزان" والعقل هو "اليد" التي تمسك به لتقسط في الفهم والتطبيق.

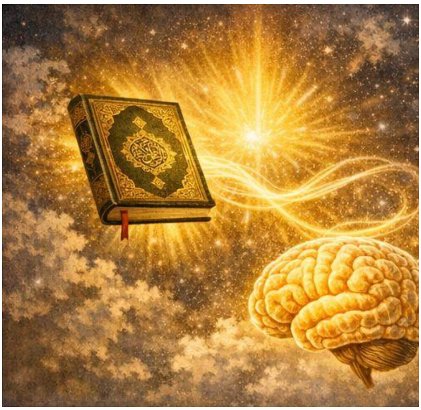
الباب الثالث
جدلية العلاقة ومنهجية التكامل

(نور على نور)

هنا تلتقي الأرض بالسماء، ويصافح الدليلُ العقلَ في رحاب الحكمة. نفكك في هذا الباب وهم "التعارض"، ونؤسس لقانون "التكامل"؛ حيث لا يستقيم نقلٌ بلا عقلٍ يفهمه، ولا يصح عقلٌ بلا نقلٍ يسدده. إنه مقام "نور على نور"، حيث يتحول الفكر إلى عبادة، وتصبح الشريعة برهاناً عقلياً، لنصل إلى وسطية معرفية ترفض جمود الظاهر وشطط التأويل، الذي يعطل روح الشريعة وحكمتها.

الفصل الأول
تحرير محل النزاع
هل العقل حاكم أم خادم؟

كثيراً ما تضطرب الأفهام عند محاولة تحديد "الرتبة" لكل من العقل والنقل في عملية المعرفة. وكثيراً ما يتردد في كتب الكلام والفلسفة سؤال يوحي بالندية: "هل العقل حاكم على النقل أم خادم له؟". وهذا التساؤل في طياته نوع من التلبيس، فالصحيح أن العقل "شاهد" و"مصدق" و"فاهِم"، وليس "نداً" يصادم الوحي. في هذا الفصل، نحرر محل النزاع لنبين أن العقل يمارس سيادته في مجاله، ويخضع للوحي في مجاله، في تناغم لا تصادم فيه.



العقل "حاكم" في مجاله (مقدمة النقل)

لا يمكن للنقل أن يثبت نفسه لمن لا يؤمن به إلا عن طريق العقل. لذا، فإنه لا بد من الاعتراف بأن العقل له نوع من "الحاكمية"

القبلية، ضرورية لوجود الإيمان أصلاً، وهي التي يسميها العلماء (مقدمة النقل):

1. **إثبات الصانع:** العقل هو الذي يستدل بالخلق على الخالق، وبالآفاق والأنفس على وجود القوي العليم. قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (الطور: 35). هذا استدلال عقلي بحت وضعه القرآن كقاعدة للإيمان.
2. **إثبات صدق الرسول:** العقل هو الذي ينظر في المعجزات، ويحلل سيرة النبي ﷺ، ويجزم بأن هذا الوحي ليس من صنع البشر.

الخلاصة: العقل هنا هو "القاضي" الذي يفحص وثائق النبوة، فإذا حكم بصحتها، فقد أدى دوره كـ "بوابة" للدخول إلى محراب الوحي. لولا حكم العقل بصدق المصدر، لما قبلنا النقل أصلاً. فالعقل هو "القاضي" الذي يثبت صحة الشهادة، فإذا ثبتت صحتها، وجب عليه العمل بمقتضاها.

العقل "خادم" للنقل (وظيفة الفهم والتطبيق)

بعد أن يقرر العقل صدق النقل وعصمته، تتحول وظيفته من "قاضٍ" يفحص المصدر إلى "خادم" يغوص في أعماق النص:

1. **استنباط الكنوز:** العقل يعمل كأداة تحليلية لفهم الدلالات اللغوية، والمقاصد الشرعية، واستخراج الأحكام من بطون الآيات والأحاديث.
2. **التطبيق والامتثال:** العقل الرشيد هو الذي يدرك أن طاعة المعصوم هي "محض العقل". قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} (النور: 51).

- **معنى الخدمة:** الخدمة هنا بمعنى التبعية الواعية، العقل يعمل في استخراج الكنوز من النص، واستنباط الأحكام، وتنزيلها على الواقع. ليس الإلغاء، بل هو توظيف كل الطاقات الفكرية لخدمة مراد الله وفهمه فهماً صحيحاً بعيداً عن الشطط.

مغالطة "تأليه العقل" وتفنيد الحاكمية المطلقة

الذين زعموا أن العقل "حاكم مطلق" حتى في رد النصوص الصحيحة التي لم تستوعبها مداركهم، وقعوا في تناقض منطقي صارخ:

1. **التناقض:** إذا كان العقل هو الذي أثبت أن الرسول ﷺ صادق ومعصوم فيما يبلغه عن الله، فكيف يعود العقل ليقول: "أنا أرفض هذا النص لأنه لم يوافق ميزاني"؟ هذا يعني أن العقل يكذب نفسه في استنتاجه الأول، وهو هدم لأصل المعرفة.

2. **تفاوت العقول:** العقل حاكم على "أدوات المعرفة البشرية" (الحواس، المنطق)، لكنه ليس حكماً على "مراد الله" فيما غاب عن إدراكه. لا بد أن يكون للحاكم معياراً ثابتاً، بينما عقول البشر متفاوتة بتفاوت الزمان والمكان والثقافات. فلو جعلنا العقل حاكماً مطلقاً، لصار الدين "أدياناً" بعدد رؤوس البشر.

الرؤية التكاملية (العقل شاهد للنقل)

بدلاً من صراع "الحاكم والخادم"، يقدم الإسلام مفهوم "**الشهادة والموافقة**"، وهي البديل الصحيح لصراع (الحاكم والخادم):

- **العقل شاهد :**هو الفطرة التي تشهد "بصدق الله" عندما تسمع الوحي، وتشهد بموافقة الوحي للفطرة، وتشهد بصلاحية التشريع. قال تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} (سبأ: 6).

العلاقة: العقل كـ "العين"، والنقل كـ "النور". لا قيمة للعين في الظلام، ولا فائدة للنور لمن أغمض عينيه أو فقد بصره. فالنقل نور يضيء للعقل مساحات الغيب التي لا يراها، ويسدده في مساحات الدنيا التي قد يضل فيها. فلولاه لبقي العقل يتخبط في ظلمات الحيرة الوجودية. قال تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

مِّنْهُ} (هود: 17). البيئة هي الوحي، والشاهد هو العقل (أو الفطرة التي توافق هذا الوحي.

خلاصة الفصل

تحرير محل النزاع يقتضي القول بأن العقل "سيد" في مجاله (البحث والتجريب وإثبات الأصول)، ولكنه "تلميذ" في مدرسة الوحي (فهم الغيب وتلقي التشريع). العقل هو البوابة التي توصلنا إلى النقل، فإذا وصلنا، صار النقل هو القائد المسدد، والعقل هو الجندي المبدع في فهم القيادة وتطبيق أوامرها.

هل العقل حاكم أم خادم؟

العقل حاكم في إثبات صدق الرسالة وبراهين الوحي، وخادم في فهم تفاصيلها واستنباط أحكامها وتنزيلها على الواقع؛ فهو يقود للوحي، ثم ينقاد له.

الفصل الثاني

قانون التقديم عند توهم التعارض

الإجابة على السؤال الصعب: من نقدّم؟

تردد في المدارس الفكرية والكلامية قديماً ما يُسمى بـ "القانون الكلي"، وهو القول بأنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل. والحقيقة أن هذا الطرح يحتاج إلى تفكيك علمي دقيق؛ لأن التعارض إما أن يكون حقيقياً أو متوهماً، وإما أن يكون طرفا التعارض قطعيين أو ظنيين. في هذا الفصل، نضع النقاط على الحروف لنبين متى نقدّم، وماذا نقدّم.

قانون "تقديم القطعي" (المعيار الحقيقي)

العبرة ليست بكون الدليل "عقلياً" أو "نقلياً"، بل بكونه "قطعياً" أو "ظنياً."

- **القاعدة:** إذا تعارض دليل قطعي (لا يحتمل الشك) مع دليل ظني (يحتمل التأويل أو الشك)، قُدم القطعي كائناً ما كان.
- **مثال:** إذا تعارضت نظرية علمية "ظنية" (مجرد افتراض) مع نص قرآني "قطعي" الدلالة، قُدم النص. وإذا تعارض نص "ظني" (حديث آحاد يحتمل التأويل) مع حقيقة عقلية

"قطعية" (بديهية رياضية)، وجب تأويل النص بما يتوافق مع العقل.

نقد "تقديم العقل مطلقاً"

القول بتقديم العقل على النقل مطلقاً عند التعارض هو قول فاسد من وجوه:

1. **تناقض العقول:** أي عقل نقدم؟ فالعقول تتفاوت وتتناقض، فما يراه زيدٌ عقلاً يراه عمروٌ جهلاً، بينما النقل (الوحي) واحد ثابت.
2. **إبطال الأصل بالفرع:** العقل هو الذي أثبت صدق النقل، فإذا جعلنا العقل حاكماً يلغي النقل، فقد أبطلنا ما شهد به العقل ابتداءً، وهذا انهدام للمنطق.
3. **العقل تابع للواقع:** العقل يدرك ما في الواقع، والوحي يخبر عن خالق الواقع، فكيف يقدم المحدود على المطلق؟

كيفية حل التعارض المتوهم (خارطة الطريق)

عندما يظن الباحث وجود تعارض، عليه اتباع الخطوات التالية:

1. **التثبت من النقل:** هل النص صحيح الثبوت؟ (فإن كان ضعيفاً فلا تعارض).
2. **التثبت من العقل:** هل هذا "عقل صريح" أم مجرد "هوى أو نظرية غير مثبتة"؟
3. **الجمع والتأويل السائغ:** محاولة فهم النص في سياقه الصحيح، فغالباً ما يكون "التعارض" ناتجاً عن فهم خاطئ للغة أو المقاصد.
4. **التسليم في "المغيبات":** إذا كان التعارض في أمر غيبي يعجز العقل عن إحاطته، فالواجب تقديم النقل لأن العقل هنا خارج منطقة اختصاصه.

كمال العقل في تقديم النقل القطعي

ليس من العقل أن يقدم الإنسان بصره المحدود على "بصر الخالق" المحيط بكل شيء.

- **الشاهد:** قال تعالى: {أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} (البقرة: 140).
- العقل السليم هو الذي يدرك حدود طاقته، ويوقن أن الوحي هو "الحق المطلق" المنزه عن الهوى والخطأ، وبذلك يكون تقديم النقل القطعي هو "قمة التعقل".

خلاصة الفصل

لا يوجد تعارض حقيقي بين عقل صريح ونقل صحيح. وما يظهر من تعارض فهو إما لعدم ثبوت النقل، أو لعدم صراحة العقل، أو لقصور في الفهم. والقانون الكلي الصحيح هو: "القطعي مقدم على الظني"، والوحي القطعي هو أثبت اليقينيات.

قانون التقديم عند
توهم التعارض بين العقل والنقل

يُقدّم القطعي (سواء كان عقلاً أو نقلاً) على الظني؛ فإن تعارضا ظاهرياً، نُقدّم الوحي المعصوم ونُصحح العقل القاصر، ولا تعارض حقيقي بينهما.

الفصل الثالث

العقلانية الزائفة وكشف المنطق الأعوج

الرد العلمي على القول بتقديم العقل على النقل عند التعارض



في الساحة الفكرية المعاصرة، ارتفعت رايات "العقلانية" كأيديولوجيا تصادمية، لا كمنهج تفكير سوي. إن الفرق بين "العقلانية الإسلامية" التي تحترم النص وتفهمه، وبين "العقلانية الزائفة" التي تتخذ من العقل صنماً يُعبد، هو الفرق بين البصيرة والعمى. في هذا الفصل، نكشف زيف الادعاءات التي تتستر بالعقل لتمرير أجندات التشكيك والهدم.

الفرق بين العقلانية المنهجية و"العقلانوية" الأيديولوجية

يجب التمييز بدقة بين مستويين من التعامل مع العقل:

1. **العقلانية المنهجية (الرصينة)** :هي التي تحترم قوانين المنطق، وتفرق بين "المحال عقلاً" و"المجهول قدراً"، وتخضع لضوابط الاستدلال الصحيح.
2. **العقلانوية الزائفة (المؤدلجة)** :هي نزعة "تأليه العقل" وجعله المصدر الوحيد والنهائي للحقيقة، ورفض كل ما لا

يدركه الحس أو لا يستوعبه العقل المحدود، وهي في جوهرها "مادية" مغلفة باسم العقل.

كشف المنطق الأعوج في الخطاب الحداثي

يستخدم أصحاب العقلانية الزائفة مسالك منطقية ملتوية للالتفاف على النصوص، منها:

- **تاريخية النص:** الزعم بأن النص الشرعي كان "عقلياً" لزمانه فقط، والآن يجب تجاوزه. وهذا "منطق أعوج" لأنه يلغي صفة "الخلود" عن الوحي ويجعله رهيناً للظرف التاريخي.
- **سلطة القارئ (الذاتية):** الزعم بأن لكل إنسان "عقله الخاص" في فهم النص، فلا توجد حقيقة ثابتة. وهذا يؤدي إلى "فوضى معرفية" تلغي مراد الشارع وتجعل الدين ألعوبة في يد الأهواء.
- **تقديم "المصلحة المتوهمة" على النص:** بدعوى أن العقل يرى مصلحة في (الربا، أو التحلل الأخلاقي)، فيضربون النص الصريح بظنون عقلية متغيرة.

صفات "العقلانية الزائفة"

يمكن تمييز هذا النوع من التفكير بعدة سمات:

1. **الانتقائية:** يقبلون من الدين ما وافق أهواءهم العصرية، ويرفضون ما خالفها بدعوى أنه "غير معقول".
2. **الاستلاب الحضاري:** عقلانيتهم ليست نتاج بحث ذاتي، بل هي محاكاة للمنطق الغربي المادي الذي يفصل الدين عن الحياة.
3. **التناقض الذاتي:** يدّعون "حرية العقل"، لكنهم يمارسون "إرهاباً فكرياً" على كل من يتمسك بالنص، واصفين إياه بالرجعية والتخلف.

تهافت المنطق الإلحادي المتستر بالعقل

يدعي الملاحدة أن "العقل" يقتضي إنكار الغيب، بينما الحقيقة أن العقل الصريح هو أكبر عدو للإلحاد:

- **قانون السببية:** العقل يحكم بأن لكل فعل فاعلاً، فكيف يقبل العقل الإلحادي "صدفة" أوجدت هذا النظام الكوني المعجز؟

- **ضبط المصطلحات:** العقلانية الزائفة تسمي "الشك" بحثاً، وتسمي "الجحود" تنويراً، وتسمي "الهوى" حرية. وهذا قلب للحقائق وتلاعب بالمنطق السوي.
- **الشاهد:** قال تعالى: {أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ} (فاطر: 8). هذا هو العمى الفكري الذي يظنه صاحبه عقلاً.

خلاصة الفصل

العقلانية الحقيقية هي التي تدرك حدودها وتخضع لخالقها، أما العقلانية الزائفة فهي "منطق أعوج" يبدأ بتأليه الإنسان وينتهي بضياعه. إن كتابنا هذا يدعو إلى "عقلانية مؤمنة" تبني ولا تهدم، وتستنير بضياء النقل لتصل إلى بر الأمان.

قِناعُ الزَّيفِ

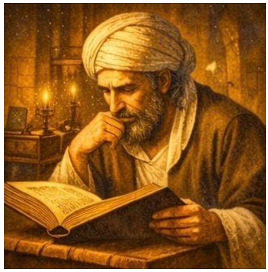
يَا نَـاشِدَ الـحَقّ فِـي لُـجّ الـمَتَـاهَاتِ ... احْـذَرْ لُـبُوسَ الهَوَى بَيْنَ العِـمَامَاتِ
قَـومٌ بَـكَوْا، وَدُمُوعُ الـزَّيْفِ تَفْـضَحُهُمْ ... كَـمْ صَوَّرُوا الدِّيـنَ مَـرْمًى لِلسَّقَطَاتِ
يَا صَاحِـبِي لا تَـظُنَّ الـدَّمْعَ مَـكْرُمَـةً ... فَـالـتَّمْسَحُ يُـبْدِي الـبُكَا رَغْمَ الـجِنَايَاتِ
قَالُوا عُمَاةٌ هُمُ العُلَمَا، وَاعْتَرَضُوا ... وَادَّعَـوُا الـرُّشْـدَ فِـي تِـلْكَ الضَّلالاتِ
بَـاعُوا لِـلنَّاسِ أَوْهَـامًا، وَقَـدْ لَبِسُوا ... جِـلْدَ الـشِّيَـاهِ، وَهُـمْ شَـرُّ الـبَرِيَّاتِ
الدِّيـنُ يُـؤْخَـذُ عَنْ أَهْلِ الـرُّسُوخِ بِمَا ... جَـاءَ الـكِتَابُ بِـهِ، لا بِـالشِّعَـارَاتِ
فَـكَمْ خَطِـيبٍ يَـهُزُّ الـقَلْبَ مَنْـطِقُـهُ ... وَفِـي الـحَقِيـقَةِ يَـسْعَى لِلـغَـوَايَاتِ
لا تَـتْرُكِ الـعَقْلَ لِـلأَهْـوَاءِ تَـقْذِفُـهُ ... خَلْـفَ الـسَّرَابِ وَخَلْـفَ الـمُدَّعِـيَـاتِ
وَمِـنْ غُـرورِ الـفَتَى بِـالعَقْلِ مَنْزَلَقٌ ... يَـرْمِي بِـهِ فِـي شِـبَاكِ الـتُّرَّهَاتِ
يَـرَى الـنُّصُوصَ بِـعَيْنٍ لا ضِـيَاءَ بِـهَا ... وَيَـتْرُكُ الـبَحْرَ طَـوعاً لِـلـفَلَاةِ
فَـظَنَّ أَنَّ هُـدَى الـمُخْتَارِ رَهْنُ يَـدٍ ... لِـكُلِّ غِـرٍّ جَـفَا أَهْلَ الـقِيَـادَاتِ
مَـا كُلُّ مَـنْ صَـاغَ قَوْلاً صَارَ مُجْتَهِداً ... وَلا الـتَّبَاكِي طَـرِيـقٌ لِـلـنَّجَـاحَاتِ

المهندس
إبراهيم آل كلثم الصيعري

الفصل الرابع

أثر إعمال العقل في مقاصد الشريعة

العقل المصلحي المنضبط



إذا كان النقل قد وضع الأصول والنصوص، فإن العقل هو الذي يغوص في أعماقها ليستخرج "المقاصد" والغايات التي من أجلها شُرعت الأحكام. إن إعمال العقل في المقاصد هو أرقى مراتب التعقل؛ لأنه ينتقل من الوقوف عند "حرفية النص" إلى إدراك "روح النص" وتحقيق مصالح العباد التي هي جوهر الشريعة.

العقل كاشف للمصالح والعلل

من أعظم وظائف العقل في الإسلام هي "التعليل"، أي البحث عن الحكمة والعلة من وراء الحكم الشرعي.

- **الوظيفة العقلية:** العقل يدرك أن الله لا يشرع عبثاً، فيبحث في النص عن العلة (مثل: تحريم الخمر لإفسادها العقل).
- **الأثر:** عندما يدرك العقل العلة، يستطيع "القياس" عليها، فيلحق المخدرات بالخمر في التحريم لأن العلة (إفساد العقل) واحدة. وهذا هو قمة التفاعل بين العقل والنقل.

العقل في ترتيب الأولويات (فقه الموازنات)

الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وهنا يبرز دور العقل في الموازنة:

- **ميزان العقل:** عند تزاحم المصالح، العقل هو الذي يرجح المصلحة العامة على الخاصة، والضروري على التحسيني.
- **القاعدة المقاصدية:** "حيثما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله". والعقل السليم المنضبط بالوحي هو الذي يحدد هذه المصلحة الحقيقية بعيداً عن الهوى العاجل.

العقل أداة التجديد ومواكبة النوازل

النصوص متناهية والحوادث غير متناهية. هنا يأتي العقل "المقاصدي" ليملأ الفجوة بين النص الثابت والواقع المتغير.

- **الاجتهاد المقاصدي:** العقل يبحث في مقاصد الشريعة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال) ليجد حلولاً للمسائل الطبية المعاصرة، والمعاملات المالية الرقمية، والذكاء الاصطناعي، بما لا يصادم نصاً قطعيّاً ويحقق نفعاً بشرياً.
- **الضابط:** العقل هنا لا يشرع من تلقاء نفسه، بل "يستنبط" من روح الشريعة وقواعدها الكلية.

كمال الشريعة في استيعاب طاقة العقل

إن فتح باب "المقاصد" هو أكبر دليل على أن الإسلام يثق في العقل البشري الملتزم بالوحي.

- **التكامل:** النقل يعطينا "القِبلة" والاتجاه، والعقل المقاصدي يمهد "الطريق" ويزيل العوائق ويختار أفضل الوسائل للوصول.
- **النتيجة:** شريعة حية، مرنة، قادرة على قيادة البشرية في كل زمان ومكان بفضل تزاوج نور الوحي مع ذكاء العقل.

خلاصة الفصل

إعمال العقل في مقاصد الشريعة ليس خروجاً على النص، بل هو غوص في أعماقه. العقل المصلحي المنضبط بالوحي هو الذي يحمي الدين من "جمود الظاهرية" ومن "تميع العقلانوية الزائفة"، ليقدم للعالم ديناً يحقق سعادة الدارين بالمنطق والبرهان.

مبحث خاص
جمود الظاهرية
تعطيل العقل" تماماً والوقوف عند حرفية الألفاظ

إذا كانت "العقلانوية" قد ضلت طريقها بتأليه العقل وتجاوز النص، فإن هناك اتجاهاً مقابلاً قام بـ "تعطيل العقل" تماماً والوقوف عند حرفية الألفاظ؛ وهو ما يُعرف بـ **الجمود الظاهري** .إن هذا المسلك لا يقل خطورة عن الأول، لأنه يُظهر الشريعة وكأنها نصوص جامدة عاجزة عن استيعاب مصالح البشر وتطورات الزمان.

أولاً: حقيقة الجمود الظاهري

الجمود الظاهري هو الاقتصار على ظواهر النصوص ورفض تعليل الأحكام أو البحث عن المقاصد والحكم الكامنة وراء التشريع.

- **إنكار القياس:** يرفض الجامد إلحاق المسائل الجديدة (الفرع) بالمسائل المنصوص عليها (الأصل) مهما كانت العلة واضحة. وهذا يضيق واسعاً، ويجعل العقل مجرد "آلة تسجيل" لا "آلة فهم واستنباط."
- **عزل النص عن سياقه:** التعامل مع النص ككتلة لغوية معزولة عن أسباب النزول، وعن مقاصد الشريعة الكلية في حفظ الضرورات الخمس.

ثانياً: أثر الجمود في تشويه صورة الشريعة

إن تعطيل العقل المقاصدي لصالح الجمود الظاهري يؤدي إلى نتائج سلبية، منها:

1. **العجز عن مواكبة النوازل:** في ظل الانفجار المعرفي والتكنولوجي، يحتاج المسلمون إلى فتاوى تعتمد على "فهم العلة" (مثل المعاملات البنكية الرقمية، والقضايا الطبية المعقدة). الجمود الظاهري يقف عاجزاً أمام هذه المستجدات لعدم وجود نص حرفي فيها، مما يدفع الناس للبحث عن حلول بعيدة عن الدين.
2. **إيقاع المكلفين في الحرج:** الشريعة قامت على "رفع الحرج". والجمود على الحرف قد يؤدي إلى إلزام الناس بصور قديمة للأحكام كانت مصلحة في زمانها، وصارت مشقة في زماننا، مما ينافي قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: 78).
3. **فتح الباب للعقلانوية المنحرفة:** عندما يرى الناس "جمود الظاهرية" وعدم معقولية بعض طروحاتهم، يهربون إلى الطرف الآخر (العقلانوية الزائفة) ظناً منهم أن هذا هو السبيل الوحيد للتنوير، فكان الجمود سبباً في الإلحاد والتشكيك.

ثالثاً: العقل المقاصدي كحل وسط

إن الحل الذي يقدمه هذا الكتاب هو "الاجتهاد المقاصدي" الذي يجمع بين تعظيم النص وإعمال العقل:

- **تعظيم النص:** بالالتزام بأوامره ونواهيه القطعية.
- **إعمال العقل:** بالبحث عن "المصلحة" التي أرادها الله من هذا النص، وتعميمها عبر القياس والاجتهاد.
- **الشاهد:** كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجاً للعقل المقاصدي؛ حيث كان يفهم "روح النص" ويطبقه بما يحقق العدل والمصلحة في الواقع المتغير، دون أن يخرج عن أصل الشريعة.
-

خلاصة المبحث

إن الشريعة "نور" لا يحجبه جمود، و"حكمة" لا يدركها إلا ذوو الألباب. والجمود الظاهري هو حجاب يمنع العقل من رؤية جمال الشريعة ومرونتها، لذا فإن تحرير العقل من "الجمود" هو فريضة شرعية بقدر ما هو ضرورة واقعية.



التفكر في آيات الله المنظورة (الكون)
هو الوقود الذي يغذي اليقين بالآيات المستورة (الوحي).

الباب الرابع
الشخصية المتوازنة
والتحديات المعاصرة

(الثمار والاستشراف)

ينتقل هذا الباب من التنظير إلى التطبيق، ليرسم ملامح "المسلم المتوازن" الذي يمارس التفكير كعبادة، ويواجه تحديات العصر بعقل مستنير بالوحي، يجمع بين رقي الفكر وزكاة النفس. هنا ثمرة الغرس وميدان العمل؛ حيث يتحول التأصيل إلى "سلاحٍ فكري" في معركة القلوب والعقول. نستعرض في هذا الباب ملامح "الإنسان الشهودي" الذي تحرر من أصفاد التبعية ليدخل في رحابة العقيدة المختارة. نواجه فيه عواصف العولمة والإلحاد والسيولة القيمية، ونفكك فلسفة "الولاءات العالمية" لنثبت أن العقيدة الصحيحة هي الحصن الاستراتيجي والكلمة السيادية في وجه كل محاولات التدجين والاستلاب.

الفصل الأول
العقل المتعبد
التلازم بين الفكر والذكر



إن الغاية النهائية من الجمع بين "نور العقل" و"ضياء النقل" هي صياغة شخصية مسلمة لا تعرف الفصام النكد بين العلم والإيمان، أو بين التفكير والتعبد. الشخصية المتوازنة هي التي تمارس "التفكير" كنوع من العبادة، و"العبادة" كفعل واعي يعمق التفكير. في هذا الفصل، نرسم معالم "العقل المتعبد" الذي يجمع بين محراب الصلاة ومختبر المعرفة.

التفكر كفريضة إيمانية

في الشخصية المتوازنة، لا ينفصل العقل عن القلب؛ فالتفكر في آيات الله المنظورة (الكون) هو الوقود الذي يغذي اليقين بالآيات المستورة (الوحي).

- **الوحدة المعرفية:** العقل المتعبد يرى في القوانين الفيزيائية "تسبيحاً" لله، وفي التطور البيولوجي "إعجازاً" لقدرته.

- **الشاهد:** قال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ} (آل عمران: 191). هنا نجد اقتران "الذكر" بالقلب واللسان، مع "التفكر" بالعقل، والنتيجة هي "التنزيه" (سبحانك).

التحرر من التبعية والهوى (استقلال العقل المؤمن)

الشخصية المتوازنة لا تسلم عقلها لغير خالقها. فهي تتحرر من نوعين من القيود:

1. **قيد الهوى النفسي:** العقل المتعبد يدرك أن "الحقيقة" أهم من "الرغبة"، فلا يحرف النصوص لتوافق شهواته.
2. **قيد التبعية العمياء:** يرفض العقل المؤمن التقليد الأعمى سواء كان للتراث الجامد أو للحداثة المستلبة، بل يعرض كل شيء على "ميزان الوحي والبرهان".

- **النتيجة:** شخصية نقدية بانية، لا تنجرف مع الصرعات الفكرية العابرة، بل تقف على أرض صلبة من اليقين.

العلم النافع هو "الجمع بين القراءتين"

قدم العلماء المسلمون مفهوماً رائعاً وهو "القراءة في كتابين":

- **الكتاب المسطور:** وهو القرآن الكريم (النقل)، ومنه نأخذ القيم، الغايات، والأحكام.
- **الكتاب المنظور:** وهو الكون والحياة (العقل)، ومنه نأخذ العلوم، التجربة، والقوانين.
- **أثر التوازن:** الشخصية المتوازنة تقرأ الكتابين معاً؛ فلا تكون متدينة بلا علم (جهل وتطرف)، ولا عالمة بلا دين (مادية وجحود).

العقل والأخلاق (نحو عقلانية أخلاقية)

العقل المتعبد يدرك أن "الذكاء" بدون "خُلق" هو دمار. لذا، يرتبط العقل في الإسلام بالتقوى:

- **العلم والخشية:** قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: 28). فالعقل الذي لا يثمر خشية وتواضعاً وأدباً هو عقل ناقص البركة.
- **المسؤولية:** العقل المتعبد يسأل نفسه دائماً: "كيف أستخدم علمي وفكري لنفع الخلق ومرضاة الخالق؟."

تزكية النفس كشرط لسداد العقل (العقل والقلب السليم)

إن العقل في المنظور الإسلامي ليس "محركاً" يعمل بمعزل عن الحالة النفسية والأخلاقية لصاحبه. فالنفس الأمارة بالسوء قد "تختطف" العقل وتجيره لخدمة أهوائها، ومن هنا تبرز أهمية "**التزكية** "كضمانة لاستقامة التفكير وسداده.

إن بناء "العقل المتعبد" يبدأ بـ "تزكية النفس". فالعقل هو السراج، والتزكية هي الزجاجة التي تحميه من رياح الهوى؛ فإذا صفت الزجاجة، سطع نور السراج وأضاء لصاحبه وللعالمين.

أولاً: أثر أمراض النفس في تضليل العقل

يوضح القرآن الكريم أن "الذكاء" وحده لا يحمي من الضلال إذا كان القلب مريضاً:

1. **الكِبر:** هو أعظم حجاب يمنع العقل من قبول الحق. قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأعراف: 146). هنا "الصرف" هو صرفٌ عقلي؛ أي أن المتكبر لا "يفهم" الدليل مهما كان واضحاً.
2. **الهوى:** عندما تتحكم الرغبة في العقل، يصبح العقل مجرد "محامٍ" يبرر الأخطاء بدلاً من أن يكون "قاضياً" يبحث عن الحق. قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ

عَلَىٰ عِلْمٍ} (الجاثية: 23). "على علم" أي أنه يملك آلات العقل والذكاء، لكن الهوى أفسد بوصلته.

ثانياً: التزكية تُثمر "الفرقان" العقلي

بقدر ما يتطهر الإنسان من رذائل النفس، يمنحه الله ملكة "الفرقان"؛ وهي نور عقلي يميز به بين الحق والباطل، والوهم والحقيقة.

- **الوعد الرباني:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا} (الأنفال: 29). "الفرقان" هو كمال التعقل والسداد في الرأي الذي ينبع من تقوى القلوب.
- **البصيرة:** هي "عقل النفس الزكية"، وهي التي تجعل المسلم يرى مآلات الأمور وعواقبها قبل وقوعها.

ثالثاً: التواضع العلمي (العقل المنكسر لخالقه)

العقل المتعبد هو عقل "متواضع"، يدرك أنه مهما بلغ من العلم فإنه لا يحيط إلا بقليل.

- **شعار العقل المتعبد:** قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الإسراء: 85). هذا التواضع يحمي العقل من

"العُجب" (الغرور العلمي)، ويفتحه دائماً للتعلم والاستزادة، ويجعله يتقبل الحق حتى لو جاء من مخالف.

رابعاً: الطمأنينة كبيئة مثالية للتفكير

العقل القلق المشحون بالصراعات النفسية لا ينتج فكراً رصيناً. أما النفس المزكاة فتعيش حالة من "السكينة" تتيح للعقل أن يعمل في أقصى طاقاته وهدوئه.

- **السكينة:** هي الثبات عند النوازل، مما يسمح للعقل باتخاذ القرارات الرشيدة دون اضطراب تحت وطأة الخوف أو الغضب.

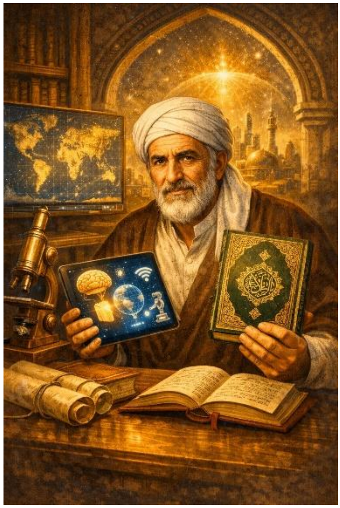
خلاصة الفصل

إن "العقل المتعبد" هو الثمرة الكبرى للقاء النورين. هو عقل يبحث في المختبر وهو يُسبح، ويقرأ في المصحف وهو يتدبر، ويقود الحياة وهو يراقب الله. وبذلك تتحقق "الوسطية" التي تجعل المسلم منارة هدى في عالمه، يجمع بين رقي الفكر وصفاء الروح.

الفصل الثاني

العقل المسلم ومواجهة التحديات المعاصرة

الذكاء الاصطناعي، العولمة، الإلحاد الجديد



لا يعيش العقل المسلم في عزلة عن واقعه، بل هو عقل "شهيد" على عصره، يتفاعل مع مستجداته برؤية ناقدة وبانية. إن التحديات التي يفرضها القرن الحادي والعشرون —من ثورة تقنية كاسحة وهجمات فكرية منظمة— تتطلب عقلاً يجمع بين صلابة الثوابت النقلية ومرونة الأدوات العقلية. في هذا الفصل، نناقش كيف يواجه المسلم هذه التحديات بتوازن واقتدار.

موقف العقل المؤمن من ثورة الذكاء الاصطناعي والتقنية

الذكاء الاصطناعي هو "أعلى تجليات العقل البشري" في محاكاة التفكير، وهنا يبرز دور النورين:

- **الإفادة والتمكين:** العقل المسلم يرى في التقنية "نعمة" ووسيلة لعمارة الأرض وتيسير حياة الناس، فيقبل عليها تعلماً وتطويراً.

- **الضابط الأخلاقي (النقل):** الوحي يضع الخطوط الحمراء؛ فالذكاء الاصطناعي أداة لا تملك "روحاً" ولا "أخلاقاً". العقل المسلم يمنع تحول الآلة إلى "إله" أو وسيلة للظلم، التجسس، أو تزييف الحقيقة (التزييف العميق).
- **التذكير بالمصدر:** العقل المؤمن يدرك أن ذكاء الآلة هو "خلق الإنسان"، وذكاء الإنسان هو "خلق الله"، فكل تقدم تقني هو برهان جديد على عظمة الخالق.

مواجهة "الإلحاد الجديد" (البرهان العقلي في خدمة اليقين)

لم يعد الإلحاد المعاصر مجرد "شبهة"، بل صار "هجمة" تدعي العلمية. العقل المتوازن يواجهه بـ:

- **تفكيك التناقضات:** الإلحاد يدعي العلم، والعلم يقوم على "النظام والسببية"، والإلحاد يقوم على "العشوائية والصدفة". العقل المسلم يكشف هذا التهافت المنطقي.
- **تكامل العلم والإيمان:** العقل المؤمن يثبت أن "العلم التجريبي" يجيب على سؤال (كيف؟)، بينما "الوحي" يجيب على سؤال (لماذا؟). والصدام لا يقع إلا إذا تجاوز أحدهما حده.

- **اليقين العقلي:** استخدام براهين القرآن (النظم، الخلق، الفطرة) كأدوات عقلية حديثة تخاطب إنسان العصر بلغة يفهمها.

العقل المسلم في مهب العولمة (الأصالة والمعاصرة)

العولمة تسعى لنمذجة العالم وفق "عقلية واحدة" مادية. الشخصية المتوازنة تواجه ذلك بـ:

- **الانفتاح الواعي:** أخذ "النافع" من حضارات العالم (العلوم، الإدارة، التنظيم) دون شعور بالدونية.
- **الاستعصاء القيمي:** التمسك بـ "الهوية" المستمدة من النقل (القيم الأخلاقية، الأسرة، العبادات) كصمام أمان يحمي العقل من الذوبان في "سيولة" القيم المعاصرة.
- **عالمية الإسلام:** تقديم الإسلام كبديل "عقلاني" و"أخلاقي" لإنقاذ البشرية من أزماتها الروحية والاجتماعية.

العقل الناقد والوقاية من "التضليل المعلوماتي"

في عصر "ما بعد الحقيقة" وكثرة الشائعات، يبرز التوجيه القرآني كأعلى منهج عقلي:

- **التبين والتثبت:** قال تعالى: {إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} (الحجرات: 6). هذا "أصل عقلي" في نقد الأخبار وتحليل المعلومات قبل قبولها.
- **رفض التبعية الرقمية:** عدم الانقياد لـ "خوارزميات" منصات التواصل التي تصوغ عقول الناس بالوهم، بل الاحتكام دوماً لميزان (البرهان العقلي) و(الأثر النقلي).

خلاصة الفصل

العقل المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة ليس عقلاً "منفعلاً" يدافع عن نفسه فقط، بل هو عقل "فاعل" يمتلك الرؤية الشاملة. إنه العقل الذي يطوع التقنية للخير، ويفحم الإلحاد بالمنطق، ويحفظ الهوية بالوحي. وبذلك يكون المسلم بحق "خير أمة أخرجت للناس"، يجمع لهم بين رغد العيش وهدى المصير.

الفصل الثالث

ظاهرة منكري السنة

قراءة فكرية في الجذور والمآلات



شهد الفكر الإسلامي في العصر الحديث بروز اتجاهات جديدة تحاول إعادة تعريف مصادر المعرفة الدينية، ومن أبرزها تيار يطلق على نفسه اسم "القرآنيين"، وهو تيار يرفع شعار الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده، ويرفض السنة النبوية بوصفها مصدراً للتشريع. ورغم أن هذا الشعار يبدو في ظاهره دعوة للعودة إلى الأصل، إلا أن نتائجه العملية تقود إلى **تفريغ القرآن من محتواه التشريعي**، وإلى إعادة تشكيل الدين وفق رؤية فردية لا تستند إلى منهج علمي ولا إلى تراث الأمة.

هذه القراءة لا تهدف إلى الجدل، بل إلى فهم الظاهرة في سياقها الفكري والاجتماعي، وتحليل مقدماتها ونتائجها، وبيان موقعها من البناء المعرفي الإسلامي.

أولاً: البنية الفكرية للتيار

يقوم هذا الاتجاه على مجموعة من الأفكار التي تبدو للوهلة الأولى منطقية، لكنها تنهار عند إخضاعها للتحليل العلمي.

1. الاكتفاء بالقرآن بوصفه "تبياناً لكل شيء"

يستند منكرو السنة إلى قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89]، ويستنتجون أن القرآن مكتفٍ بذاته. لكن هذا الفهم يتجاهل أن القرآن نفسه يقرر أن **الرسول ﷺ هو المبيّن**، وأن البيان النبوي جزء من الوحي. فالقرآن يضع الإطار العام، ويأتي البيان النبوي ليشرح ويُفصّل ويُطبّق.

2. التشكيك في نقل الحديث

يُصوّرون السنة وكأنها نصوص ظهرت فجأة بعد قرون، بينما الحقائق التاريخية تثبت أن التدوين بدأ في حياة النبي ﷺ، وأن علم الإسناد الذي طوره المسلمون لا نظير له في أي حضارة أخرى.

3. رفض المرجعية العلمية

يرى هذا التيار أن كل فرد قادر على تفسير القرآن مباشرة دون الحاجة إلى العلماء أو التراث، وهو تصور يؤدي عملياً إلى **فوضى معرفية**، حيث يصبح كل فرد "مشرّعاً" لنفسه.

ثانياً: تطبيقات فكرية تكشف الإشكال

عند الانتقال من التنظير إلى التطبيق، تظهر الفجوة بين الشعار والواقع.

1. الصلاة

يقولون إن القرآن لم يحدد عدد الصلوات ولا ركعاتها، فيكتفي بعضهم بصلاة واحدة أو صلاتين. لكن عدد الصلوات ثابت **بالتواتر العملي** الذي نقله المسلمون جيلاً بعد جيل، وهو تواتر لا يقل قوة عن النص.

2. الزكاة

يجعلون الزكاة "تبرعاً عاماً" لأن القرآن لم يحدد الأنصبة. لكن القرآن أحال إلى السنة في تفاصيل الأحكام، كما أحال إلى الإجماع العملي للأمة.

3. الحج

يعتبرون المناسك "طقوساً موروثة"، بينما ورد عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "خذوا عني مناسككم" [صحيح مسلم: 1297]، وهو نص تأسيسي في التشريع.

4. الحدود

ينكرون الحدود الثابتة بالسنة، مثل حد الرجم، رغم أن هذه الأحكام نُقلت بالتواتر، وأقرتها الأمة عبر تاريخها.

ثالثاً: الآثار الفكرية والاجتماعية للمنهج

1. تفكيك البنية التشريعية للإسلام

من دون السنة، لا يمكن إقامة الصلاة، ولا الزكاة، ولا الحج، ولا الحدود، ولا المعاملات. فالقرآن يضع المبادئ، والسنة تبني عليها التفاصيل.

2. تحويل الدين إلى تجربة فردية

حين يصبح كل فرد مفسراً مستقلاً، يتحول الدين إلى **رأي شخصي**، لا إلى منظومة معرفية لها أصول وقواعد.

3. إضعاف المرجعية الدينية

وهو ما يفتح الباب أمام تيارات فكرية تسعى إلى إعادة تشكيل الدين وفق رؤى حداثية منفصلة عن جذوره.

رابعاً: لماذا يرفض الفكر الإسلامي هذا الاتجاه؟

1. لأنه يناقض القرآن نفسه

فالقرآن يأمر بطاعة الرسول ﷺ، ويجعل سنته جزءاً من الوحي.

2. لأنه يناقض إجماع الأمة

لم يقل أحد من الصحابة أو التابعين أو الأئمة بهذا القول، مما يجعل هذا الاتجاه **منقطعاً عن السلسلة العلمية** التي حملت الدين.

3. لأنه يؤدي إلى هدم الدين من داخله

فإنكار السنة يعني عملياً إلغاء معظم الأحكام الشرعية.

خامساً: نحو فهم أعمق للظاهرة

لا يمكن فهم هذا التيار بمعزل عن سياقه الثقافي:

- صعود الفردانية الحديثة
- تأثير الخطاب الاستشراقي
- انتشار القراءة السطحية للنصوص
- ضعف التعليم الشرعي المنهجي

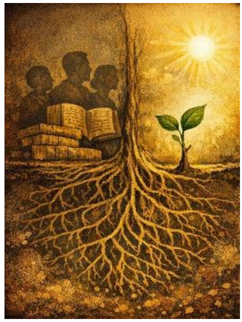
إنها ظاهرة تعكس **أزمة في منهج التعامل مع النص** أكثر مما تعكس خلافاً حول النص نفسه.

إن السنة ليست نصوصاً موازية للقرآن، بل هي **امتداد لوظيفته**، وبيان لمقاصده، وتجسيد عملي لرسالته. وإنكارها ليس تجديداً، بل **قطعٌ لسلسلة الفهم** التي حملت الدين عبر القرون. والتعامل مع هذه الظاهرة يحتاج إلى خطاب علمي هادئ، يوضح أن العقل والنقل ليسا خصمين، بل جناحين يحملان الإنسان نحو الحقيقة.



ظاهرة منكري السنة

الفصل الرابع
الدين والمذهب
بين العقيدة والهوية، وبين القدر والاختيار



تتشكّل المعتقدات الدينية والمذهبية لدى الإنسان ضمن شبكة معقدة من المؤثرات: بيئةٌ تُنشئ، وعقلٌ يتطور، ومصالحُ تتقاطع، وتقاليدُ تُورَّث، وضغوطٌ اجتماعية تُمارس. وفي هذا السياق، يبرز سؤال جوهري ظلّ حاضراً في النقاشات الفكرية القديمة والحديثة: **هل الاعتقاد الديني اختيارٌ حرّ، أم أنه نتاج بيئة لا يملك الإنسان الفكاك منها؟ وهل الدين عقيدةٌ تُبنى، أم هويةٌ تُكتسب؟**

هذا السؤال لا يهدف إلى التشكيك، بل إلى الفهم؛ فهم كيف يتكوّن الإيمان، وكيف تتشكل الهوية، وكيف يتفاعل العقل مع الموروث.

الفطرة وبدايات التلقي

يولد الإنسان – كما يخبرنا الحديث الشريف – على فطرة نقية، استعداد داخلي للبحث عن المعنى والاتصال بالمطلق. غير أن هذه الفطرة لا تعمل في فراغ؛ فالأسرة والمجتمع يقدمان للطفل أول تعريف للدين، وأول صورة للمقدّس، وأول إجابة عن أسئلة الوجود.

وقد ميّز ابن القيم بدقة بين **الفطرة كاستعداد** و**المعرفة كاكتساب**؛ فالفطرة ليست علماً جاهزاً، بل قابلية للانجذاب نحو الحق، تنمو أو تضعف بحسب ما يواجهه الإنسان من مؤثرات.

العقل حين يدخل المشهد

مع نضج الإنسان، يبدأ العقل في ممارسة دوره الطبيعي: التساؤل، المراجعة، وإعادة النظر. وهنا تتباين المسارات:

- هناك من يفتح عقله للنقد والتحليل،
- وهناك من يكتفي بما ورثه دون مساءلة.

وقد لفت النبي ﷺ إلى هذا التفاوت حين قال: "رُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع"، في إشارة إلى أن الفهم ليس مجرد تلقٍّ، بل قدرة على التأمل وإعادة البناء.

في الفكر الحديث، يُنظر إلى الاعتقاد بوصفه **عملية مستمرة**، لا مجرد موقف ثابت؛ عملية تتفاعل فيها التجربة الشخصية مع النص، والعقل مع الموروث، والواقع مع المثال.

المصلحة كعامل خفي في تشكيل المعتقد

ليس كل انحياز فكري ناتجاً عن قناعة معرفية. فالمصلحة – الفردية أو الجماعية – قد تكون عاملاً حاسماً في تبني موقف أو رفض آخر. فرعون مثال تاريخي على سلطة المصلحة حين تتغلب على وضوح الحقيقة. وفي المقابل، يمثل سحرة فرعون نموذجاً للإنسان الذي يتجاوز الخوف والمصلحة حين يتجلى له الحق.

في التحليل الاجتماعي المعاصر، يُنظر إلى الدين أحياناً كـ **رأس مال رمزي** يمنح صاحبه مكانة أو نفوذاً، مما يجعل بعض المواقف الدينية مرتبطة بالامتياز أكثر من ارتباطها بالقناعة.

التبعية الفكرية: حين يتحول الموروث إلى قيد

التقليد ليس ظاهرة دينية فحسب، بل هو سلوك إنساني عام. غير أن خطورته تظهر حين يتحول إلى **بديل عن التفكير**، وإلى **حاجز يمنع المراجعة**. وقد عبّر القرآن عن هذا النمط بوضوح في قصة إبراهيم مع قومه: كما في قوله تعالى {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ} [لشعراء: 7].

في الفكر الحديث، يُنظر إلى هذا النمط بوصفه شكلاً من **الهوية الجمعية** التي تمنح الفرد شعوراً بالانتماء، لكنها قد تسلبه القدرة على اتخاذ موقف مستقل.

وحين تتحول الهوية الدينية إلى أداة صراع، يصبح الخلاف المذهبي أو الديني وقوداً للعداء بدلاً من أن يكون مجالاً للحوار.

بين القدر والاختيار

في الطفولة، يكون الاعتقاد قدراً بيئياً لا يملك الإنسان تغييره. لكن مع اكتمال الوعي، يصبح الاعتقاد **مسؤولية شخصية**. هنا يتحدد المسار:

- إما أن يبقى الإنسان أسير ما ورثه،
- أو أن يمارس حقه في التفكير، ويعيد بناء موقفه على ضوء الدليل والوعي.

بهذا المعنى، الاعتقاد يبدأ قدراً، لكنه لا ينبغي أن يبقى كذلك. إنه يتحول – مع الزمن – إلى **اختيار معرفي** يعبّر عن نضج الإنسان ووعيه.

الدين: عقيدة أم هوية؟

في عالم اليوم، يتداخل الدين مع الهوية بشكل كبير. هناك من ينتمي إلى دينه بوصفه **عقيدة** يعيشها، وهناك من يتعامل معه بوصفه **هوية اجتماعية** لا تتجاوز حدود الانتماء الثقافي.

هذا النمط الأخير شائع في المجتمعات الحديثة، حيث يصبح الدين جزءاً من تعريف الذات، لا من ممارستها. إنه انتماء يعبّر عن الجماعة أكثر مما يعبّر عن العلاقة بالله.

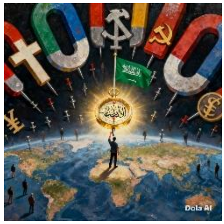
إن فهم الدين والمذهب لا يكتمل إلا حين نقرأهما في ضوء الفطرة والعقل والمجتمع معاً. فالإنسان ليس كائناً معزولاً، بل هو نتاج تفاعل مستمر بين ما يولد به وما يكتسبه، بين ما يرثه الإنسان وما يختاره بإرادته.

والسعيد هو من يجعل من الدين **عقيدة واعية** لا مجرد هوية، ومن يجعل من العقل **أداة بحث** لا أداة تبرير، ومن يجعل من النقل **مصدر هداية** لا مجرد موروث.

مبحث خاص

العقيدة كحصن للولاء وميدان للصراع العالمي

صناعة القناعة وأثرها في توجيه العقول والولاءات



يرى هذا المبحث أن الصراع العالمي في جوهره هو صراع على **"صناعة الولاء"** عبر بوابة المعتقد. فالإنسان كائن "انتمائي" بطبعه، يميل لمن يشاركه مقدساته ويعادي من يهددها. ومن هنا نفهم لماذا تتسابق القوى العالمية (رغم علمانية بعضها أو إلحاد الآخر) على نشر أيديولوجياتها:

أولاً: سلاح التبشير والأدلجة: القوى الغربية والشرقية تدرك أن "الغزو العقدي" هو الضمانة الوحيدة لكسب الولاء الدائم؛ فالتبشير النصراني أو نشر الإلحاد الشيوعي ليس مجرد نشاط دعوي، بل هو محاولة لإعادة صياغة "عقول" الشعوب لتكون تابعة ثقافياً وسياسياً، انطلاقاً من قاعدة: **"من ليس على دينك لا يعينك"**.

ثانياً: محاربة الدعوة الإسلامية كضرورة استراتيجية: يحلل هذا المبحث لماذا تُحارب الدعوة الإسلامية بضراوة؛ لأن الإسلام يقدم "عقيدة مستقلة" وبوصلة ولاء لله ثم للأمة، مما يشكل عائقاً أمام

التبعية العمياء للمشاريع الخارجية. العقيدة الإسلامية هي "الحصن المنيع" الذي يمنع ذوبان الشخصية في ولاءات غريبة.

ثالثاً: توجيه القلوب كأداة حرب: القوة المادية قد تسيطر على الأجساد، لكن العقيدة هي التي توجه القلوب. فالدول تبذل المليارات لتغيير "معتقدات" الشعوب لأنها تدرك أن كسب قلب الإنسان بمعتقدك يعني كسب "حليف مجاني" يدافع عن مشروعك بوازع داخلي لا بضغط خارجي.

رابعاً: وعي الشخصية المتوازنة: هنا يأتي دور العقل المسدد بالنقل؛ فالشخصية المتوازنة تدرك هذه اللعبة العالمية، وتتمسك بعقيدتها ليس فقط كنجاة في الآخرة، بل كـ "**هوية استراتيجية**" تحمي استقلاليتها وتحدد ولاءاتها بوضوح، فلا تقع فريسة للاستلاب الفكري أو التبعية للهويات المصطنعة.

الفصل الخامس

تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ فِي المِحْرَابِ المَعَاصِرِ

أَقْنِعَةُ الزَّيْفِ وَحَرْبُ المَرْجِعِيَّةِ

نضع أيدينا في هذا الفصل على جرح غائر في جسد الوعي المعاصر، ونكشف اللثام عما يُعرف في الأوساط الفكرية بـ "**التغريب الفكري** "أو "**الحداثة المنفلتة** ."إنها تلك النزعة التي لا تكتفي بنقد الهوامش، بل تحاول إعادة تشكيل جوهر الدين وفق أهواء مسبقة وأجندات مستوردة. ولعل الخطورة تكمن في أن التزييف الفكري أشد فتكاً من التزييف المادي؛ لأنه لا يستهدف الأطراف، بل يضرب المرجعية في مقتل ويجتث جذور الهوية.

واجهة العلم وباطن التلبيس

لقد أفرزت السنوات الأخيرة ظاهرة لافتة، تمثلت في تصدر فئات للمشهد الثقافي، يتلحف بعضهم بعباءة العلم الشرعي، بينما يرتدي آخرون مسوح الحداثة الغربية. لكنهم، على اختلاف مشاربهم، ينضوون تحت لواء واحد" :**التلبيس** "على المسلمين في ثوابت دينهم، وخلخلة اليقين في النفوس بدعاوى التجديد والتنوير.

الإعلام وصناعة الرموز البديلة

مما يثير الريبة ذلك الدور الممنهج لبعض المنابر الإعلامية، التي تعمد إلى تلميع هذه الشخصيات وتقديمها كبدائل شرعية وعلمية عن العلماء الراسخين. وفي المقابل، نجد إيصاداً تاماً للأبواب أمام أهل الحق، وحرماناً ممنهجاً لهم من حق المناظرة أو البيان. إننا أمام حرب ناعمة تستهدف تقويض أركان الإسلام من داخله، وتسويق الشبهات بوصفها "فتحاً معرفياً"، بينما هي في جوهرها إعادة تدوير لضلالات قديمة في ثوب عصري براق.

معول الهدم: فصل الأصل عن البيان

اتخذ هؤلاء "المفكرون" من هدم السنة النبوية وإقصائها ركيزة أساسية لمنهجهم، متذرعين بحجة داحضة تزعم أن "القرآن محفوظ والسنة غير محفوظة". والهدف من هذه الفرية واضح: فصل الأصل (القرآن) عن بيانه (السنة)، ليبقى النص القرآني عزلاً أمام تأويلاتهم العبثية. وهي دعوى يردها القرآن نفسه، الذي جعل طاعة الرسول ﷺ قرينة طاعة الله؛ فكيف يأمر الخالق باتباع ما ليس بمحفوظ؟!

استبداد التأويل ومنهج الاجتزاء

تتجلى صور التلبيس في "الاجتزاء المقيت"؛ حيث تُنتزع الآية من سياقها السببي واللغوي، وتُعزل عن نظائرها التي تفسرها، لتُخضع بعدها لتفسيرات عقلية محضة تضرب عرض الحائط بضوابط اللغة وأصول الاستنباط. إنهم يتعاملون مع الذِكر الحكيم كقطع متناثرة لا كبناء محكم يُفسر بعضه بعضاً، ليصنعوا بذلك **"ديناً موازياً "**صُمم خصيصاً ليرضي الأهواء ويساير الإملاءات الخارجية.

خاتمة: وعي المحكم والمتشابه

إن المعركة اليوم هي معركة **"وعي "**بامتياز. فالقرآن كلٌ لا يتجزأ، والسنة هي بيانه المحفوظ بالوحي والتدوين. وكل محاولة للفصل بينهما هي سعي لضرب المُحكم بالمتشابه، وإحلال العام محل الخاص لإبطال مقاصد الشريعة. وإن من يسلك هذا السبيل إنما يسلك طريق من ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

الخاتمة

وصايا النورين

خلاصة الرحلة المعرفية

في نهاية هذا التطواف بين آفاق الفكر ومحاريب الوحي، ندرك أن القضية ليست "عقلاً" يصارع "نقلاً"، بل هي "إنسان" يبحث عن الحقيقة. لقد رأينا كيف أن العقل بدون وحي بصرٌ في ظلام، وأن النقل بدون عقل ضياءٌ لغير بصير. إن سعادة البشرية واستقامة حضارتها رهينة بهذا العناق المقدّس بين "نور العقل" و"ضياء النقل". ومن أهم ما أصلناه في فصول الكتاب هذه القواعد الخمس:

قاعدة التوافق: لا يمكن لصريح العقل أن يناقض صحيح النقل؛ فالحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له.

قاعدة الاختصاص: العقل حاكم في إثبات أصل الرسالة، والنقل حاكم في تفاصيل العبادة والغيبيات، والعقل خادم في فهم المقاصد وتنزيل الأحكام.

قاعدة القطعية: عند توهم التعارض، يُقدّم القطعي (ثبوتاً ودلالة) كائناً ما كان، والوحي القطعي هو أصدق اليقينيات.

قاعدة التكامل: العقل يسأل عن "الكيفية" والوحي يجيب عن "الغاية"، وبدونهما يعيش الإنسان في قلق وجودي.

قاعدة التزكية: سداد العقل مرتبط بزكاة النفس؛ فالهوى والكبر حُجب تمنع العقل من رؤية بديهيات الوحي.

ومن أهم وصايا هذا الكتاب للقارئ الكريم ليكون "شخصية متوازنة":

* **جعل العقل تلميذاً للوحي**: عدم التكبر على نصّ صحّ ثبوته لمجرد أن المدارك لم تحط به، والعلم بأن قصور الفهم ليس دليلاً على بطلان النص.

* **الحذر من العقلانوية والجمود**: لا يكن المرء "عقلانوياً" يؤله فكره المحدود، ولا يكن "ظاهرياً" يجمد على الحرف ويقتل روح الشريعة وحكمتها.

* **القراءة في الكتابين**: أن يجعل المرء له ورداً من "الكتاب المسطور" (القرآن) يزكي روحه، وحظاً من "الكتاب المنظور" (العلم والكون) يبني عقله.

* **التثبت قبل الحكم**: العمل بمبدأ "التبين" في عصر الطوفان المعلوماتي، وعدم تسليم العقل لخوارزميات التضليل أو التبعية العمياء.

* **العلم للعمل والخشية**: التذكر دائماً أن العقل الذي لا يثمر أدباً مع الخَلق وخشية للخالق هو عقل "مخبوء" لا بركة فيه.

ختاماً: إن "نور العقل وضياء النقل" هما جناحا الطائر الذي يحلق بالبشرية نحو آفاق الكمال البشري. إننا اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، بحاجة إلى "العقل المتعبد" الذي يبني المختبر ويقيم الصلاة، يكتشف الذرة ويؤمن بالآخرة.

نسأل الله أن يكون هذا العمل لبنة في بناء الوعي الإسلامي الرشيد، وخطوة نحو استعادة العقل المسلم لمكانه الريادي كقائد للحضارة الإنسانية بمرجعية إلهية معصومة.

قال تعالى

{نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور:35]

تم بحمد الله وتوفيقه.

نور العقل وضياء النقل

يُقدّم هذا الكتاب رؤية تأصيلية ونقدية للعلاقة التكاملية بين العقل البشري والوحي الإلهي، متجاوزاً حالة الفصام النكد والجدلية التاريخية التي حاولت وضع أحدهما في صدام مع الآخر. ينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب رئيسية:

1. **حقيقة العقل ومكانته:** يبدأ بتحديد ماهية العقل في الإسلام، موضحاً أنه ليس مجرد مادة صماء، بل هو "وظيفة إدراكية" مرتبطة بالقلب، وجعله الشارع مناطاً للتكليف ووسيلة لفهم مراد الله.

2. **الوحي وحجية النص:** يؤصل لضرورة الوحي (الكتاب والسنة) كمرجعية معصومة، ويبين بالبرهان العقلي عجز العقل عن الاستقلال وحده في إدراك الغيبيات وتشريع القيم المطلقة، مفنداً دعاوى الاكتفاء بالقرآن دون السنة.

3. **جدلية العلاقة ومنهجية التكامل:** وهو قلب الكتاب، حيث يضع القواعد العلمية لحل "توهم التعارض" بين العقل والنقل، وينقد بشدة تطرفين" :**العقلانوية الزائفة** "التي تُقدس الهوى البشري، و**"الجمود الظاهري"** الذي يعطل روح الشريعة وحكمتها.

4. **الشخصية المتوازنة والتحديات المعاصرة:** ينتقل من التنظير إلى التطبيق، ليرسم ملامح "المسلم المتوازن" الذي يمارس التفكير كعبادة، ويواجه تحديات العصر (كالذكاء الاصطناعي والإلحاد الجديد) بعقل مستنير بالوحي، يجمع بين رقي الفكر وزكاة النفس.

يخلص الكتاب إلى أن العقل والنقل هما "نور على نور"، لا يستغني أحدهما عن الآخر لبناء حضارة إنسانية راشدة.

ولكم مني أصدق التحيات
المهندس إبراهيم آل كلثم الصيعري



المهنــــــدس
إبراهيـــــــم
بن عبدالرحمن
آل كلثـــــم
الصيعـــــري

- حاصلٌ على درجة الماجستير في هندسة الكمبيوتر من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، المملكة العربية السعودية، ودرجة البكالوريوس في علوم الحاسب من جامعة تلسا في ولاية أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية. كما التحقتُ بالعديد من الدورات الإدارية والدورات المتخصصة في مجالات الحاسب ذات الصلة بالعمل.

- وُلدتُ عام ١٣٧٩هـ في مدينة ليلى بمحافظة الأفلاج، ونشأتُ وترعرعت في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت.

- تربيتُ، ولله الحمد، على حب المبادئ والقيم الإنسانية. أحب الصدق والأمانة، وأكره الكذب والنفاق. كما نشأتُ على حب العلم والثقافة العامة والاطلاع على ثقافات الشعوب.

- أهوى الشعر الجميل والحكمة والشعر الحماسي، وإن لم أكن شاعرًا.

- تنقلتُ بين العمل ومقاعد الدراسة، وحيثما تواجدتُ تركتُ ـــ بفضل الله ـــ بصمةً جميلة أثمرت حصولي على عدد من خطابات الشكر والتقدير.

لي مشاركات متعددة على مستوى العائلة والعمل والوطن.

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٥٥٢٥
ردمك: ١-٥٢٢١-٠٦-٦٠٣-٩٧٨